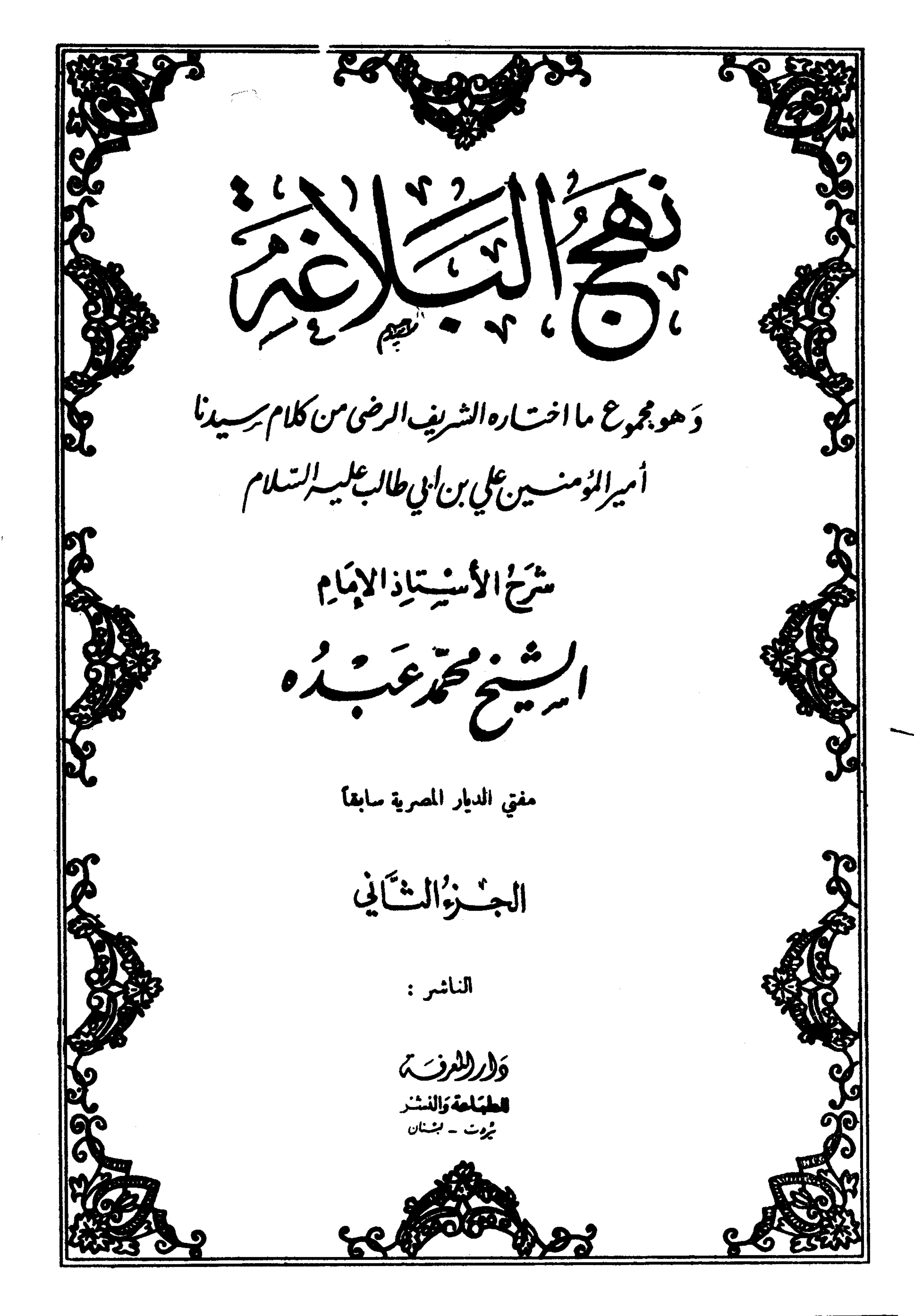


نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الثاني

الناشر :

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

ومن كلام له عليه السلام

قاله لأصحابه في ساحة الحرب

وَأَيُّ امْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ[1]، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ[2] بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ[3] . وَالَّذِي نَفْسُ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ (مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبَابِ[4] . لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ[5] . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ (مِنْهُ) فَقَدِّمُوا

---

(١) رباطة الجأش: قوة القلب عند لقاء الاعداء (٢) الفشل: الضعف وقوله فليذب أي فليدفع والنجدة بالفتح: الشجاعة (٣) في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه (٤) كشيش الضباب صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة (٥) قد خلى بينكم وبين طريق الآخرة . فمن اقتحم أخطار القتال ورمى

ٱلدَّارِعَ(١)، وَأَخِّرُوا ٱلْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ ٱلْهَامِ(٢). وَٱلْتَوُوا فِي أَطْرَافِ ٱلرِّمَاحِ(٣) فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ. وَغُضُّوا ٱلْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ. وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَٱلْمَانِعِينَ ٱلذِّمَارَ مِنْكُمْ(٤)، فَإِنَّ ٱلصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ ٱلْحَقَائِقِ(٥) هُمُ ٱلَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافَيْهَا: وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا. وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ ٱمْرُؤٌ قِرْنَهُ(٦)، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَٱيْمُ ٱللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ ٱلْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ ٱلْآخِرَةِ. وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ ٱلْعَرَبِ(٧)

بنفسه اليها فقد نجا، ومن تلوم أى توقف وتباطأ فقد هلك (١) الدارع لابس الدرع، والحاسر من لادرع له (٢) أنبى: من نبا السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع (٣) إذا وصلت اليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسنتها، وأمور أى أشد فعلا للمور وهو الاضطرب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ (٤) الذمار بالكسر مايلزم الرجل حفظه وحمايته من ماله وعرضه (٥) جمع حاقة وهى النازلة الثابتة، ويحفون بالرايات أى يستديرون حولها، ويكتنفونها: يحيطون بها، وحفافيها: جانبيها (٦) أجزأ وما بعده أفعال ماضية فى معنى الأمر أى فليكف كل منكم قرنه أى كفؤه وخصمه فيقتله وليواس أخاه. آساه يؤاسيه: قواه، رباعى ثلاثيه أسى البناء إذا قوى، ومنه الأسية للمحكم من البناء والدعامة ولا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه (٧) لهاميم جمع لهميم بالكسر: الجواد السابق من الانسان والخيل

وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ(١) ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِيَ . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . الرَّائِحُ(*) إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي(٢) . الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ(٣) . وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ(٤) . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ(٥) . يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ(٦) . وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ(٧) ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ(٨) . وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ(٩) ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ(١٠) .

---

(١) موجدته: غضبه (٢) الرماح (٣) تبلى: تمتحن أخبار كل امرئ عما في قلبه من دعوى الشجاعة والصدق في الإيمان فيتبين الصادق من الكاذب (٤) أبسله: أسلمه للهلكة (٥) دراك ـ ككتاب ـ متتابع متوال يفتح في أبدانهم أبواباً يمر منها النسيم (٦) يندرها كيهلكها أي يسقطها (٧) المناسر جمع منسر كمجلس القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم (٨) الكتائب جمع كتيبة من المائة إلى الألف: والحلائب جمع حلبة على ما في القاموس الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة ، والخميس الجيش العظيم وقيل من أربعة آلاف إلى اثني عشر ألفاً (٩) دعق الطريق ـ كمنع ـ وطئه وطئاً شديداً . ودعق الغارة بثها (١٠) أعنان الشيء أطرافه ، والمسارب المذاهب للرعي

(*) في نسخة : من رائح .

(أَقُولُ : اُلدَّعْقُ : الدَّقُّ ، أَيْ تَدُقُّ اُلْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهُمَا . يُقَالُ :مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أَيْ تَتَقَابَلُ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ اُلسَّلَامُ

فِي التَّحْكِيمِ

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ اُلرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا اُلْقُرْآنَ . وَهٰذَا اُلْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ اُلدَّفَّتَيْنِ[1] لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ اُلرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا اُلْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا اُلْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ اُلْفَرِيقَ اُلْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اُللهِ تَعَالَى . وَقَدْ قَالَ اُللهُ سُبْحَانَهُ « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اُللهِ وَاُلرَّسُولِ » . فَرَدُّهُ إِلَى اُللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى اُلرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اُللهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ اُلنَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اُللهِ صَلَّى اُللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي اُلتَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ اُلْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ اُلْعَالِمُ . وَلَعَلَّ اُللهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ اُلْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ اُلْأُمَّةِ ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا[2] فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ اُلْحَقِّ

---

(١) الدفتان صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف (٢) الاكظام جمع كظم محركة

وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ[1] ـ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! . وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ ! . اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ[2] لَا يَعْدِلُونَ بِهِ . جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ . نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ[3] . مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا[4] ، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا[5] . لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ[6] . أُفٍّ لَكُمْ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا[7] ، يَوْمًا أُنَادِيكُمْ وَيَوْمًا أُنَاجِيكُمْ ، فَلَا أَحْرَارٌ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ[8]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ، وَاللَّهِ

مخرج النفس . والأخذ بالاكظام المضايقة والاشتداد بسلب المهلة (١) كرثه ـ كنصره وضربه ـ اشتد عليه الغم بحكم الحق فان الحزن بالحق مسرة لديه. والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم ، وقوله من الباطل متعلق بأحب (٢) موزعين من أوزعه أى أغراه وقوله لا يعدلون به أى لا يستبدلونه بالعدل (٣) نكب ـ جمع ناكب ـ الحائد عن الطريق (٤) أى بعروة وثيقة يستمسك بها (٥) زافرة الرجل أنصاره وأعوانه (٦) الحشاش جمع حاش من حش النار أى أوقدها، أى لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم (٧) برحا ـ بالفتح ـ شرا وشدة (٨) النجاء الافضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لا يسمع الآخر

مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ(١)، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي ٱلسَّمَاءِ نَجْماً(٢). لَوْ كَانَ ٱلْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا ٱلْمَالُ مَالُ ٱللهِ. أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ ٱلْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي ٱلْآخِرَةِ، وَيُكَرِّمُهُ فِي ٱلنَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ ٱللهِ. وَلَمْ يَضَعِ ٱمْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ ٱللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ ٱلنَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ(٣)، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِلْخَوَارِجِ أَيْضاً

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَإِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي. سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ ٱلْبُرْءِ وَٱلسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ ٱلزَّانِيَ ٱلْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ. وَقَتَلَ ٱلْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ ٱلسَّارِقَ وَجَلَدَ ٱلزَّانِيَ غَيْرَ ٱلْمُحْصَنِ.

---

(١) ماأطور به من طار يطور: حام حول الشيء، أي ما أمر به ولا أقارب مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون. وماسمر سمير أي مدى الدهر (٢) أي ما قصد نجم نجماً (٣) صديق

ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[١] . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[٢] . وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ ، فَالْزَمُوهُ وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ[٣] وَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ الِافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمُ اتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْرًا[٤] ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ[٥]

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر ، فأراد الامام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سلك به في بادية ضلاله (٣) الشعار علامة القوم في الحرب والسفر، وهو مايتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل كان شعار الخوارج « لاحكم الالله » وقيل المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة، فيريد الامام أن كل خارج عن رأى الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه فهو واجب القتل وإلا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين (٤) البجر ـ بالضم ـ الشر والأمر العظيم (٥) ختلتكم: خدعتكم.

وَلَا لَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَإِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا - فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ - سُوءَ رَأْيِهِمَا[1] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة [2]

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ[3] ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ[4] . يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ (يُومِي بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزِّنْجِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ[5] ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ[6] ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ

والتلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لايعرف وجه الحق فيه (١) الصمد: القصد. وسوء مفعول لاستثناؤنا (٢) الملاحم جمع ملحمة وهى الواقعة العظيمة (٣) اللجب الصياح. واللجم جمع لجام. وقعقعتها مايسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل (٤) الحمحمة صوت البرذون عند الشعير وعر الفرس (أى صوته) عند مايقصر فى الصهيل و يستعين بنفسه (٥) جمع سكة: الطريق المستوى وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره فى قيامه وسقوطه فراجعه (٦) أجنحة الدور رواشنها . وقيل ان الجناح والروشن يشتركان فى إخراج

قَتلُهُم(١)، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابُّ الدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

(مِنْهُ ، وَيُومِي بِهِ إِلَى وَصْفِ الْأَتْرَاكِ) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ(٢) ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ(٣)، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ(٤). وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى(٥) يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونَ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا) : يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ . وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ « إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ » الْآيَةَ ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ

الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لا يصل إلى جدار آخر يقابله وإلا فهو الساباط، ويختلفان فى أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن، وخراطيمها مايعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع الشمس. أو الخراطيم هى الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد

(١) أولئك أصحاب الزنجى لأنهم عبيد (٢) فى القاموس أى التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة أى المخصوفة، وهو عجز عن التعبير ، والأحسن أن يقال أى التى الزق بها الطراق – ككتاب – وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به (٣) السرق – بالتحريك – شقق الحرير الأبيض أو هو الحرير عامة (٤) يعتقبون : يحتبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم (٥) استحرار القتل : اشتداده

أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَبًا ، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَمَا سِوَى ذَٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي[1]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْمَكَايِيلِ وَالْمَوَازِينِ

عِبَادَ اللهِ ، إِنَّكُمْ - وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هَٰذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ . مُؤَجَّلُونَ[2] وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ . أَجَلٌ مَنْقُوصٌ وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ[3] ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا ، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعًا . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ[4] ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ[5] . اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا

---

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أى وتنضم عليه جوانحى . والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها (٢) أثوياء جمع ثوى كغنى وهو الضيف (٣) الدائب المداوم فى العمل . والكادح الساعى لنفسه بجهد ومشقة، والمراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا (٤) الضمير للشيطان (٥) أمكنت الفريسة : أى سهلت و تيسرت

يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا. أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ. أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ. وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ[1] لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِأَبِي ذَرٍّ رحمه الله لما خرج إلى الرَّبَذَةِ[2]

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ،

(١) الحثالة ـ بالضم ـ الردىء من كل شىء . والمراد قزم الناس وصغراء النفوس

(٢) محركة : موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبى ذر الغفارى رضى الله عنه والذى أخرجه اليه الخليفة الثالث رضى الله عنه

وَأَهْرُبَ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ. فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ. وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَدًا، وَالْأَكْثَرُ حُسَّدًا. وَلَوْ أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقًا ثُمَّ اتَّقَى اللهَ لَجَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا، وَلَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمِنُوكَ(١).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ. الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ(٢) وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ، هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سَرَارَ الْعَدْلِ(٣)، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ، وَلَكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ. فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ

---

(١) لو قرضت منها: لو قطعت منها جزءا واختصصت به نفسك أى لو رضيت أن تنال منها

(٢) أظأركم: أعطفكم (٣) السرار كسحاب فى الأصل: آخر ليلة من الشهر، والمراد الظلمة أى أن أطلع بكم شارفاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة، كما يدل على هذا قوله: أو أقيم اعوجاج الحق، فان الحق لا اعوجاج فيه، ولكن قوماً خلطوه بالباطل، فهذا ما أصابه

وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْوَالِيَ عَلَى الْفُرُوجِ وَالدِّمَاءِ وَالْمَغَانِمِ وَالْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ[١]، وَلَا الْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا الْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا الْحَائِفُ لِلدُّوَلِ[٢] فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا الْمُرْتَشِي فِي الْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ الْمَقَاطِعِ[٣] ، وَلَا الْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ الْأُمَّةَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَابْتَلَى[٤] . الْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ . الْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ . الْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ الصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ الْعُيُونُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ[٥] شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ (مِنْهَا) فَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لَا

من اعوجاج (١) النهمة ـ بالفتح ـ افراط الشهوة والمبالغة فى الحرص (٢) الحائف ـ من الحيف ـ أى الجور والظلم . والدول : جمع دولة بالضم هى المال لأنه يتداول أى ينتقل من يد ليد . والمراد من يحيف فى قسم الأموال فيفضل قوماً فى العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل (٣) المقاطع : الحدود التى عينها الله لها (٤) الا بلاء : الاحسان. والانعام . والابتلاء الامتحان (٥) مصطفاه ومبعوثه

ٱللَّعِبُ ، وَٱلْحَقُّ لَا ٱلْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا ٱلْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[١] وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ ٱلنَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ[٢] ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ . وَحَذِرَ ٱلْإِقْلَالَ وَأَمِنَ ٱلْعَوَاقِبَ ، طُولَ أَمَلٍ[٣] وَٱسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ ٱلْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ ٱلْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ ٱلرِّجَالُ ٱلرِّجَالَ ، حَمْلًا عَلَى ٱلْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِٱلْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ ٱلَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيَبْنُونَ مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا . وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ . فَمَنْ أَشْعَرَ ٱلتَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ[٤] وَفَازَ عَمَلُهُ . فَٱهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، وَٱعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا[٥] . فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا ٱلْأَعْمَالَ إِلَى دَارِ ٱلْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ[٦] . وَقَرِّبُوا ٱلظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

---

(١) أى أن الداعى إلى الموت قد أسمع بصوته كل حى ، فلا حى إلا وهو يعلم أنه يموت . وأعجل حاديه أى أن الحادى لسير المنايا إلى منازل الأجسام لاخلائها من سكنة الأرواح قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم (٢) لا تغتر بكثرة الأحياء فكلما رأيت حياً زعمت أنك باق مثله (٣) طول مفعول لأجله ، أى كان منه ذلك لطول الأمل الخ (٤) برز الرجل على أقرانه أى فاقهم . والمهل : التقدم فى الخير ، أى ، فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره (٥) اهتبل الصيد : طلبه ، وكلمة الحكمة : اغتنمها ، والضمير فى هبلها للتقوى لا للدنيا ، أى اغنموا خير التقوى (٦) الوفز ــ ويحرك ــ : العجلة ، وجمعه أوفاز ، أى كونوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَانْقَادَتْ لَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا ، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمٰوَاتُ وَالْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا(١) ، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ الْأَشْجَارُ النَّاضِرَةُ. وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا النِّيرَانَ الْمُضِيئَةَ(٢) ، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ الثِّمَارُ الْيَانِعَةُ (مِنْهَا) وَكِتَابُ اللّٰهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَى لِسَانُهُ ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ (مِنْهَا) أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ الْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي اللّٰهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَالْعَادِلِينَ بِهِ (مِنْهَا) وَإِنَّمَا الدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ الْأَعْمَى(٣) ، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً ، وَالْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّارَ وَرَاءَهَا . فَالْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَالْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَالْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ ، وَالْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ . (مِنْهَا) وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً(٤) . وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ ،

منها على استعجال ، والظهور : ظهور المطايا، أى أحضروها للزيال أى فراق الدنيا

(١) مقاليدها ـ جمع مقلاد ـ وهو المفتاح (٢) أى أن الأشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها أى أغصانها . وقوله بكلماته أى بأوامره التكوينية ، والضمائر لله سبحانه (٣) يشير إلى أن من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً فهو بمنزلة الأعمى (٤) لا يجد

وَبَصَرٌ لِلعَيْنِ الْعَمْيَاءِ ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ . كِتَابُ اللهِ تُبْصِرُونَ بِهِ ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ . لَا يَخْتَلِفُ فِي اللهِ ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللهِ . قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ[١] ، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ . وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ . لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ[٢] ، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ .

فى الموت راحة حيث لم يهيىء من العمل الصالح الباقى ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال وإنما ذلك أى شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور وتبعثه إلى خير العمل ، ثم بعد بيانه لما يجده الانسان فى نفسه من خيفة ما وراء الموت ولما يرشد اليه ذلك الوجدان أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى منجاة مما يخشاه القلب و تتوجس منه النفس ، وانها التمسك بكتاب الله الذى بين أوصافه ، و بهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين فى هذا المقام . وقوله كتاب الله جملة مستأنفة أى هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون اليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه (١) الغل : الحقد. والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه فى النفوس . وقوله نبت المرعى على دمنكم تأكيد وتوضيح للجملة قبلها . والدمن بكسر ففتح: جمع دمنة بالكسر وهى الحقد القديم . ونبت المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن السرقين ومايكون من أرواث الماشية وأبوالها ، وسميت بها الأحقاد لأنها أشبه شىء بها، قد تنبت عليها الخضر وهى على مافيها من قذر. وهذا كلام ينعى به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الالهام (٢) استهام أصله من هام على وجهه إذا خرج لا يدرى أين يذهب أى أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْخُرُوجِ إِلى غَزْوِ الرُّومِ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ تَوَكَّلَ اللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ(١)، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ. وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ:

حَيٌّ لَا يَمُوتُ

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ(٢). لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا، وَاحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلَاءِ وَالنَّصِيحَةِ(٣)، فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءًا لِلنَّاسِ(٤) وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ (٥)

وَقَدْ وَقَعَتْ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ فَقَالَ الْمُغِيرَةُ بْنُ الْأَخْنَسِ لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِلْمُغِيرَةِ:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ

الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة (١) الحوزة : ما يحوزه المالك ويتولى حفظه. واعزاز حوزة الدين : حمايتها من تغلب أعدائه (٢) كانفة : عاصمة يلجأون اليها، من كنفه إذا صانه وستره (٣) احفز من حفزه - كضربه - إذا دفعه وسقته سوقاً شديداً. وأهل البلاء : أهل المهارة فى الحرب مع الصدق فى القصد والجراءة فى الاقدام. والبلاء : هو الاجادة فى العمل واحسانه (٤) الردء - بالكسر - الملجأ . والمثابة : المرجع (٥) قالوا

تَـكْفِينِي ؟ وَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ . اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ[1] ، ثُمَّ أَبْلِغْ جُهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمْ تَـكُنْ بَيْعَتُـكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا . إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[2] ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ

وَاللهِ مَا أَنْـكَرُوا عَلَيَّ مُنْـكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفًا[3] . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ . فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ

كان نزاع بين أمير المؤمنين وبين عثمان ، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق لعثمان أنا أكفيكه ، فقال على يابن اللعين الخ . و إنما قال ذلك لأن أباه كان من رؤوس المنافقين ، ووصفه بالأبتر ــ وهو من لا عقب له ــ لأن ولده هذا كلا ولد (١) النوى ههنا بمعنى الدار (٢) الخزامة ــ بالكسر ــ حلقة من شعر تجعل فى وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده (٣) النصف ــ محركة ــ اسم من الانصاف

إِلَّا قِبَلَهُمْ⁽١⁾ . وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ . وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَأُ وَالْحُمَةُ⁽٢⁾ ، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ⁽٣⁾ . وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ . وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ⁽٤⁾ ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ⁽٥⁾ وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا⁽٦⁾ أَنَا مَاتِحُهُ لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ⁽٧⁾

(مِنْهُ) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا⁽٨⁾ ، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ . قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا

---

(١) الطلبة ـ بالكسر ـ مايطالب به من الثأر (٢) المراد بالحما هنا مطلق القريب والنسيب وهو كناية عن الزبير فانه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته. قالوا وكان النبي أخبر علياً أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته . والحمة بضم ففتح كناية عنها . وأصلها الحية أو ابرة اللاسعة من الهوام. والله أعلم (٣) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . وأغدف الليل : أرخى سدوله . يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق (٤) زاح يزيح زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب، كانزاح. والنصاب الأصل، أي قد انقلع الباطل عن مغرسه (٥) الشغب ـ بالفتح ـ تهييج الشر (٦) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض . والمراد حوض المنية . وماتحه : أي نازع مائه لأسقيهم (٧) عب : شرب بلا تنفس. والحسي ـ بفتح الحاء ويكسر ـ سهل من الأرض يستنقع فيه الماء ، أو يكون غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتنزح منها ماء وكلما نزحت دلوا جمعت أخرى ، فتلك الحفرة حسي، يريد أنه يسقيهم كأساً لايتجرعون سواها (٨) العوذ ـ بالضم ـ جمع عائذة وهي الحديثة النتاج من الظباء والابل، أو كل أنثى . والمطافيل : جمع مطفل ـ بضم الميم وكسر الفاء ـ ذات الطفل من الانس والوحش

اَللّٰهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ(١). فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا. وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ(٢)، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ(٣)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يومي فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى(٤) إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ

(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِياً نَوَاجِذُهَا(٥)، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْواً رَضَاعُهَا، عَلْقَماً عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا(٦)

---

(١) التأليب: الافساد (٢) استثبتهما من ثاب بالثاء إذا رجع، اي استرجعتهما (٣) أمام الوقاع ـ ككتاب ـ قبل المواقعة بالحرب. وغمط النعمة: جحدها (٤) يعطف الخ خبر عن قائم ينادي بالقرآن ويطالب الناس باتباعه ورد كل رأي اليه (٥) النواجذ: أقصى الأضراس أو الأنياب. والأخلاف: جمع خلف بالكسر وهو الضرع. وبدو النواجذ كناية عن شدة الاحتدام، فانما تبدو من الأسد إذا اشتد غضبه. وامتلاء الاخلاف غزارة ما فيها من الشر. وحلاوة الرضاع استطابة أهل النجدة واستعذابهم لما ينالهم منها. ومرارة العاقبة بما يصير اليه الظالمون وبئس المصير (٦) إذا انتهت

وَتُخْرِجُ لَهُ الْأَرْضُ أَفَالِيذَ(١) كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْمًا مَقَالِيدَهَا. فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَةِ. وَيُحْيِي مَيِّتَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ(٢)، وَفَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ الْجَوْلَةِ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ. وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ(٣) حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا(٤). فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ(٥).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَقْتِ الشُّورَى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ

الحرب حاسب الوالى القائم كل عامل من عمال السوء على مساوى أعمالهم ، وانما كان الوالى من غيرها لأنه برئ من جرمها (١) أفاليذ: جمع أفلاذ، جمع فلذة: وهى القطعة من الذهب والفضة (٢) انتقال إلى الكلام فى قائم الفتنة . وفحص : بحث . وكوفان: الكوفة. والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها (٣) ليشردنكم ، أى ليفرقنكم (٤) عوازب أحلامها : غائبات عقولها (٥) يسنى : يسهل

فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي. عَسَى أَنْ تَرَوْا[1] هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي النَّهْيِ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ[2] أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ. أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ[3] مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ. وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ

---

(١) قوله عسى أن تروا الخ. ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الامر. وتنتضى: تسل (٢) الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام (٣) مما هو أعظم الخ. بيان للذنوب التي سترها الله عليه

عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ السِّهَامُ وَيَحِيلُ الْكَلَامُ(١) ، وَبَاطِلُ ذَلِكَ يَبُورُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ (فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هَذَا ، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ) : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَادَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ . مَا أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللَّهِ بَخِيلٌ ! . فَمَنْ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ

(١) يحيل – كيميل – يتغير عن وجه الحق . وفى نسخة يحيك بالكاف – من حاك القول فى القلب – أخذ، والسيف: أثر

وَالْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ، فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي الِاسْتِسْقَاءِ

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعاً لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا

إِنَّ اللّٰهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَباً لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ » فَرَحِمَ اللّٰهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ

اللّهُمّ إنّا خرجنا إليكَ من تحتِ الأستارِ والأكنانِ، وبعدَ عجيجِ البهائمِ والولدانِ، راغبينَ في رحمتكَ، وراجينَ فضلَ نعمتكَ، وخائفينَ من عذابكَ ونقمتكَ. اللّهُمّ فاسقنا غيثكَ ولا تجعلنا منَ القانطينَ، ولا تهلكنا بالسّنينَ[١]، ولا تؤاخذنا بما فعلَ السّفهاءُ منّا يا أرحمَ الرّاحمينَ. اللّهُمّ إنّا خرجنا إليكَ نشكو إليكَ ما لا يخفى عليكَ حينَ ألجأتنا المضايقُ الوعرةُ، وأجاءتنا المقاحطُ المجدبةُ[٢]، وأعيتنا المطالبُ المتعسّرةُ، وتلاحمتْ علينا الفتنُ المستصعبةُ. اللّهُمّ إنّا نسألكَ أنْ لا تردّنا خائبينَ، ولا تقلبنا واجمينَ[٣]. ولا تخاطبنا بذنوبنا[٤]، ولا تقايسنا بأعمالنا. اللّهُمّ انشرْ علينا غيثكَ، وبركتكَ، ورزقكَ ورحمتكَ. واسقنا سقيا نافعةً مرويةً معشبةً تنبتُ بها ما قدْ فاتَ، وتحيي بها ما قدْ ماتَ. نافعةَ الحيا[٥]، كثيرةَ المجتنى، تروي بها القيعانَ[٦]، وتسيلُ البطنانَ[٧]. وتستورقُ الأشجارَ، وترخصُ الأسعارَ إنّكَ على ما تشاءُ قديرٌ

(١) جمع سنة ـ محركة ـ بمعنى الجدب والقحط (٢) أجاءته اليه: ألجأته (٣) واجين: كاسفين حزنين (٤) لا تخاطبنا، أي لا تدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا (٥) الحيا: الخصب والمطر (٦) جمع قاع: الارض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام (٧) جمع بطن: بمعنى ما انخفض من الأرض في ضيق

ومِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بَعَثَ ٱللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ ٱلْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ ٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ ٱلصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ. أَلَا إِنَّ ٱللهَ قَدْ كَشَفَ ٱلْخَلْقَ كَشْفَةً(١)، لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ ٱلثَّوَابُ جَزَاءً وَٱلْعِقَابُ بَوَاءً(٢). أَيْنَ ٱلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا ٱللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى ٱلْهُدَى وَيُسْتَجْلَى ٱلْعَمَى. إِنَّ ٱلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا ٱلْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ. لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ (مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا(٣). كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ ٱلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ(٤)، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ(٥). ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِدًا كَالتَّيَّارِ

---

(١) كشف الخلق: علم حالهم فى جميع أطوارهم (٢) بواء مصدر باء فلان بفلان أى قتل به، والعقاب قصاص (٣) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم (٤) بسئ به ـ كفرح ـ استأنس به (٥) ملكاته الراسخة فى نفسه

لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقْعِ النَّارِ فِي الْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ(١) . أَيْنَ الْعُقُولُ الْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ الْهُدَى ، وَالْأَبْصَارُ اللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ التَّقْوَى . أَيْنَ الْقُلُوبُ الَّتِي وُهِبَتْ لِلَّهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . ازْدَحَمُوا عَلَى الْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى الْحَرَامِ . وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ الْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى النَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا . وَدَعَاهُمُ الشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا(٢) ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ . لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ . وَلَا يُحْيَى لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ . وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ(٣) . وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ (مِنْهَا) وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا الْبِدَعَ وَالْزَمُوا الْمَهْيَعَ(٤) . إِنَّ

---

(١) لا يحفل ــ كيضرب ــ لايبالى (٢) تنتضل فيه: تترامى اليه المنايا (٣) يخلق ــ كيسمع وينصر ويكرم ــ يبلى (٤) المهيع ــ كالمقعد ــ الطريق الواضح

عَوَازِمَ ٱلْأُمُورِ أَفْضَلُهَا[١] . وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(وَقَدِ ٱسْتَشَارَهُ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلشُّخُوصِ لِقِتَالِ ٱلْفُرْسِ بِنَفْسِهِ)

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ . وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ . وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ . وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ . وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ[٢] مَكَانُ ٱلنِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ . فَإِنِ ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَدًا . وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَعَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ . فَكُنْ قُطْبًا ، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ[٣] مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ

---

(١) عوازم الأمور : ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم ناقة عوزم ـ كجعفر ـ أي عجوز فيها بقية شباب (٢) القائم به يريد الخليفة. والنظام : السلك ينظم فيه الخرز (٣) شخصت: خرجت

إِنَّ ٱلأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَدًا يَقُولُوا هٰذَا أَصْلُ ٱلْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ ٱسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ ٱلْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَٱلْمَعُونَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَبَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ ٱلأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ ٱلشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ ٱلْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ. وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[1]، وَٱحْتَصَدَ مَنِ ٱحْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ. وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ ٱلْكَذِبِ عَلَى ٱللهِ وَرَسُولِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ

(١) المثلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات

ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ ٱلْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ(١) إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا فِي ٱلْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ . فَقَدْ نَبَذَ ٱلْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ . فَٱلْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ(٢) ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَٱلْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ فِي ٱلنَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ، لِأَنَّ ٱلضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ ٱلْهُدَى وَإِنِ ٱجْتَمَعَا . فَٱجْتَمَعَ ٱلْقَوْمُ عَلَى ٱلْفُرْقَةِ . وَٱفْتَرَقُوا عَنِ ٱلْجَمَاعَةِ . كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ ٱلْكِتَابِ وَلَيْسَ ٱلْكِتَابُ إِمَامَهُمْ . فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا ٱسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ(٣) . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ(٤) ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى ٱللّٰهِ فِرْيَةً(٥) ، وَجَعَلُوا فِي ٱلْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ ٱلسَّيِّئَةِ

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ ٱلْمَوْعُودُ(٦) ٱلَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ ٱلْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ ٱلتَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ ٱلْقَارِعَةُ وَٱلنِّقْمَةُ(٧)

---

(١) أنفق منه : أروج منه (٢) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب

(٣) الزبر ـ بالفتح ـ الكتب مصدر كتب (٤) ما مثلوا : أى شنعوا ، وما مصدرية

(٥) فرية بالكسر أى كذبا (٦) الموت الذى لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة

(٧) القارعة : الداهية المهلكة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللّٰهُ وُفِّقَ ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ ٱللّٰهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ . وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللّٰهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ ، وَٱلْبَارِي مِنْ ذِي ٱلسُّقْمِ (١) . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَبَذَهُ . فَٱلْتَمِسُوا ذَٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . هُمُ ٱلَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذِكْرِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ)

كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى ٱللّٰهِ بِحَبْلٍ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (٢) . كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ

(١) البارى : المعافى من المرض (٢) الضمير لطلحة والزبير . وقوله لا يمتان : أى لا يمدان ، والسبب الحبل أيضا

لِصَاحِبِهِ[١] . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَاللّٰهِ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِى يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا . قَدْ قَامَتِ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ الْمُحْتَسِبُونَ[٢] . فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَاللّٰهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ اللَّدْمِ[٣] يَسْمَعُ النَّاعِيَ وَيَحْضُرُ الْبَاكِيَ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَبْلَ مَوْتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ كُلُّ امْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . وَالْأَجَلُ مَسَاقُ النَّفْسِ[٤] . وَالْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ الْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا الْأَمْرِ فَأَبَى اللّٰهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ . عِلْمٌ مَخْزُونٌ . أَمَّا وَصِيَّتِي : فَاللّٰهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً . وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ الْمِصْبَاحَيْنِ . وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا[٥] . حَمَلَ كُلُّ امْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ[٦] . وَخَفَّفَ عَنِ الْجَهَلَةِ .

---

(١) الضب ـ بالفتح ويكسر ـ الحقد (٢) الذين يجاهدون حسبة لله (٣) اللدم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة (٤) مساق النفس تسوقها اليه أطوار الحياة حتى توافيه (٥) برئتم من الذم ما لم تشردوا ـ كتنصروا ـ أى تنفروا وتميلوا عن الحق (٦) حمل كل

رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ. وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ. وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ.

إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ. وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ[١] فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَبِّ رِيَاحٍ. وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفَّقُهَا[٢]، وَعَفَا فِي الْأَرْضِ مَخَطُّهَا. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[٣]: سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ أَطْرَافِي[٤]، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي[٥]، غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي

امرء الخ. هـذا وما بعده ماض قصد به الأمر (١) قوله ان تثبت، يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه. والمزلة: محل الزلل. ودحضت القدم: زلت وزلقت (٢) الأفياء: جمع فىء، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة. والمتلفق: المنضم بعضه على بعض. وعفا: اندرس وذهب. ومخطها: مكان ماخطت فى الأرض. وضمير متلفقها للغمام. وضمير مخطها للرياح. يريد أنه كان فى حال شأنها الزوال فزالت وماهو بالعجيب (٣) خالية من الروح (٤) الخفوت: السكون، وأطرافه فى الأول عيناه وفى الثانى يداه ورأسه ورجلاه (٥) وداعيكم أى وداعى لكم، ومرصد أى منتظر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يومي فيها إلى ذكر الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالًا طَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ ٱلرُّشْدِ . فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ . وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ(١) . يَاقَوْمِ هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ(٢). وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَالَا تَعْرِفُونَ . أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً(٣) ، وَيُعْتِقَ رِقّاً ، وَيَصْدَعَ شَعْباً ، وَيَشْعَبَ صَدْعاً(٤) ، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ أَثَرَهُ(٥) وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ . ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ(٦) . تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ(٧) . وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ

---

(١) تباشيره : أوائله (٢) إبان ــ بكسر فتشديد ــ وقت. والدنو : القرب (٣) الربق ــ بكسر فسكون ــ حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة ــ بفتح الراء ــ تشد فيه البهم (٤) يفرق جمع ضلال ويجمع متفرق الحق (٥) القائف الذى يعرف الآثار فيتبعها (٦) يشحذن، من شحذ السكين : أى حددها . والقين : الحداد والنصل: حديدة السيف والسكين ونحوها (٧) تجلى بالتنزيل يعودون إلى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم

وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[١]. (مِنْهَا) وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ[٢] لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ[٣]، حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ[٤]، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ[٥]. وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ[٦]. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ. حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ[٧]، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ. حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ. وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ[٨] وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[٩].

فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله (١) يغبقون - مبنى للمجهول - يسقون كأس الحكمة بالمساء بعد ماشربوه بالصباح. والصبوح مايشرب وقت الصباح. والمراد أنها تفاض عليهم الحكم الالهية فى حركاتهم وسكونهم وسرهم واعلانهم (٢) قوله وطال الخ انتقال لحكاية أهل الجاهلية. وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم فى العقوبة (٣) الغير - بكسر ففتح - أحداث الدهر ونوائبه (٤) من قولهم اخلولق السحاب اذا استوى وصار خليقاً أن يمطر: أى يشرف الأجل على الانقضاء (٥) أشالت الناقة ذنبها: رفعته، أى رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على غيرهم، أى يسعروها عليهم (٦) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب والجملة جواب إذا (٧) من ألطف أنواع التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين اليها غيرهم (٨) دخائل المكر والخديعة (٩) الغمرة: الشدة. والمزدحم، يريد مزدحم الفتن

قَدْ مَارُوا فِي ٱلْحَيْرَةِ[١] ، وَذَهَلُوا فِي ٱلسَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى ٱلدُّنْيَا رَاكِنٍ ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَأَحْمَدُ ٱللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ ٱلشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ[٢]، وَٱلِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ. لَا يُوَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ ٱلْبِلَادُ بَعْدَ ٱلضَّلَالَةِ ٱلْمُظْلِمَةِ ، وَٱلْجَهَالَةِ ٱلْغَالِبَةِ ، وَٱلْجَفْوَةِ ٱلْجَافِيَةِ. وَٱلنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ ٱلْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ ٱلْحَكِيمَ. يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[٣]، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ ٱلْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ ٱقْتَرَبَتْ. فَٱتَّقُوا سَكَرَاتِ ٱلنِّعْمَةِ، وَٱحْذَرُوا بَوَائِقَ ٱلنِّقْمَةِ[٤] وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ ٱلْعِشْوَةِ[٥] ، وَٱعْوِجَاجِ ٱلْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا ، وَظُهُورِ كَمِينِهَا ، وَٱنْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا . تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ . شَبَابُهَا كَشَبَابِ ٱلْغُلَامِ[٦]

---

(١) ماروا تحركوا واضطربوا (٢) الدحر -بالفتح- الطرد . والمداحر والمزاجر ما بها يدحر ويزجر: وهي الأعمال الفاضلة . ومخاتل الشيطان : مكائده (٣) خلو من الشرائع الالهية لا يعرفون منها شيئا لعدم الرسول المبلغ ثم يغيرون ويبدلون ويتخذون الأصنام آلهة والأهواء شريعة فيموتون كفارا (٤) البوائق -جمع بائقة- وهي الداهية (٥) القتام -كسحاب- الغبار. والعشوة -بالضم ويكسر ويفتح- ركوب الأمر على غير بيان (٦) شباب

وَآثَارُهَا كَآثَارِ السِّلَامِ. تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالعُهُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ. يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ. وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ(١) عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ. فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ(٢)، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ. ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ(٣)، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ. فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ. وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا(٤). مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ. يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ(٥). قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ. تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ(٦)، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ. وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا(٧)، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا. يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ(٨)، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا

كل شيء أوله أى بداياتها فى عنفوان وشدة كشباب الغلام وفتوته. والسلام -بكسر السين- الحجارة. وآثارها فى الأبدان الرض والحطم (١) أراح اللحم: أنتن (٢) يتزايلون: يتفارقون (٣) شديدة الرجفان والاضطراب، أو شديد ارجافها وزلزالها للناس. والقاصمة: الكاسرة. والزحوف: الشديدة الزحف (٤) ظهورها (٥) يتكادمون يعض بعضهم بعضا كما تكون الحمر فى العانة أى الجماعة منها وهى خاصة بحمر الوحش (٦) تغيض -بالغين المعجمة- تنقص وتغور (٧) المسحل -كمنبر- المبرد أو المنحت. والمراد بالدق التفتيت، والرض التهشيم. والكلكل الصدر (٨) جمع واحد

ٱلرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمُرِّ ٱلْقَضَاءِ . وَتَحْلُبُ عَبِيطَ ٱلدِّمَاءِ[١] . وَتَثْلِمُ مَنَارَ ٱلدِّينِ[٢] ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ ٱلْيَقِينِ . تَهْرُبُ مِنْهَا ٱلْأَكْيَاسُ[٣] ، وَتُدَبِّرُهَا ٱلْأَرْجَاسُ[٤] . مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ . تُقَطَّعُ فِيهَا ٱلْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا ٱلْإِسْلَامُ . بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ

(مِنْهَا) بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[٥] وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ ٱلْأَيْمَانِ[٦] بِغُرُورِ ٱلْإِيمَانِ. فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ ٱلْفِتَنِ[٧] وَأَعْلَامَ ٱلْبِدَعِ. وَٱلْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ ٱلْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ ٱلطَّاعَةِ . وَٱقْدَمُوا عَلَى ٱللهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ . وَٱتَّقُوا مَدَارِجَ ٱلشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ ٱلْعُدْوَانِ . وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ ٱلْحَرَامِ[٨] فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَعْصِيَةَ[٩] ، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلطَّاعَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ . وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ .

أي المتفردون (١) عبيط الدماء : الطرى الخالص منها (٢) ثلم الاناء والسيف أو نحوه كسر حرفه (٣) جمع كيس : الحاذق العاقل (٤) جمع رجس وهو القذر والنجس، والمراد الأشرار (٥) طلت دمه : هدرته (٦) يختلون أي يخدعهم الظالمون بحلف الأيمان،و يغرونهم بظاهر الايمان وأنهم مؤمنون مثلهم (٧) الأنصاب كل ماينصب ليقصد (٨) اللعق — جمع لعقة بضم اللام—وهى ماتأخذه فى الملعقة (٩) انكم بعين الخ

وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ. لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[١]، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ. الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[٢]، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ[٣]، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[٤]، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ[٥]، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ. بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا. وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ. مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ[٦] وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ. وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ. وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ. وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ

(مِنْهَا) قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ، وَلَاحَ لَائِحٌ[٧] وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ. وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا. وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ[٨]. وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ

أى انه يرا كم (١) لا تستلمه المشاعر أى لا تصل اليه الحواس (٢) النصب - محركة - التعب (٣) الأداة: الآلة (٤) تفريق الآلة: تفريق الأجفان وفتح بعضها عن بعض (٥) البائن: المنفصل عن خلقه (٦) من وصفه أى من كيفه بكيفيات المحدثين (٧) لاح: بدا. قالوا هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان (٨) الغير - بكسر ففتح - صروف

أَنْكَرَهُمْ وَأَنْكَرُوهُ. إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَاسْتَخْصَّكُمْ لَهُ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَجِمَاعُ كَرَامَةٍ(١). اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى مَنْهَجَهُ وَبَيَّنَ حُجَجَهُ مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَبَاطِنِ حِكَمٍ. لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ. فِيهِ مَرَابِيعُ النِّعَمِ(٢)، وَمَصَابِيحُ الظُّلَمِ. لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمَفَاتِيحِهِ، وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ. قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ(٣) وَأَرْعَى مَرْعَاهُ. فِيهِ شِفَاءُ الْمُشْتَفِي، وَكِفَايَةُ الْمُكْتَفِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَهُوَ فِي مُهْلَةٍ مِنَ اللهِ يَهْوِي مَعَ الْغَافِلِينَ(٤)، وَيَغْدُو مَعَ الْمُذْنِبِينَ. بِلَا سَبِيلٍ قَاصِدٍ، وَلَا إِمَامٍ قَائِدٍ

(مِنْهَا) حَتَّى إِذَا كَشَفَ لَهُمْ عَنْ جَزَاءِ مَعْصِيَتِهِمْ. وَاسْتَخْرَجَهُمْ مِنْ جَلَابِيبِ غَفْلَتِهِمْ، اسْتَقْبَلُوا مُدْبِرًا، وَاسْتَدْبَرُوا مُقْبِلًا. فَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِمَا أَدْرَكُوا مِنْ طَلِبَتِهِمْ، وَلَا بِمَا قَضَوْا مِنْ وَطَرِهِمْ. إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ وَنَفْسِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ. فَلْيَنْتَفِعِ امْرُؤٌ بِنَفْسِهِ، فَإِنَّمَا الْبَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ، وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ، وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ

الحوادث وتقلباتها : انتظرها لعلما يقوم حق وينتكس باطل (١) جماع الشيء مجمعه (٢) مرابيع — جمع مرباع بكسر الميم — المكان ينبت نبته فى أول الربيع، أوهو المطر أول الربيع (٣) أحمى المكان : جعله حمى لايقرب، أى أعز الله الاسلام ومنعه من الاعداء، ومن دخل فيه وصار من أهله متعه الله بخيراته وأباحه رعى ماتنبته أرضه الطيبة من الفوائد (٤) قوله وهو فى مهلة، كلام فى ضال غير معين

فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَٱلضَّلَالَ فِي ٱلْمَغَاوِي[1] . وَلَا يُمِينُ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ . وَضَعْ فَخْرَكَ وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ . وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَامْهَدْ لِقَدَمِكَ[2] وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ . وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللّٰهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِٱللّٰهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ

(١) جمع مغواة، وهي الشبهة يذهب معها الانسان إلى مايخالف الحق (٢) مهد ـ كمنع ـ بسط

بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى ٱلنَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ[١] ، أَوْ يَلْقَى ٱلنَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . ٱعْقِلْ ذٰلِكَ فَإِنَّ ٱلْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ

إِنَّ ٱلْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا . وَإِنَّ ٱلسِّبَاعَ هَمُّهَا ٱلْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا . وَإِنَّ ٱلنِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْفَسَادُ فِيهَا . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ[٢] . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَنَاظِرُ قَلْبِ ٱللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ[٣] ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَٱسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَٱتَّبِعُوا ٱلرَّاعِيَ

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ ٱلْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِٱلْبِدَعِ دُونَ ٱلسُّنَنِ . وَأَرَزَ ٱلْمُؤْمِنُونَ[٤] . وَنَطَقَ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ ٱلشِّعَارُ[٥] وَٱلْأَصْحَابُ

---

(١) يستنجح أى يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع فى الدين (٢) خاضعون لله عز وجل (٣) ناظر القلب ، استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها ، والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمده أى غايته ومنتهاه . والغور ماانخفض من الأرض . والنجد مالرتفع منها ، أى يدرك باطن أمره وظاهره (٤) أرز يأرز — بكسر الراء فى المضارع — أى انقبض وثبت. وأرزت الحية لاذت بجحرها و رجعت اليه (٥) مايلى البدن من الثياب والمراد بطانة النبى صلى الله عليه وسلم

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ . لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا

(مِنْهَا) فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ[١] ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمٰنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا[٢] . فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ . فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ . وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ[٣] ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ[*] » وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ

---

(١) الضمير لآل النبي. والكرائم : جمع كريمة، والمراد أنزلت في مدحهم آيات كريمات. والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائم (٢) لم يسبقهم أحد الى الكلام وهم سكوت أي يهاب سكوتهم فلم يجرؤ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه (٣) ان الله يحب الخ أي يحب من المؤمن ايمانه ويبغض ما يأتيه من سيئات الأعمال ولا يفيده ذلك الحب مع هذا

(*) يوجد بهامش الاصل : (المؤمن اذا صدرت منه صغيرة فالله يحبه ويبغض عمله ، والكافر اذا أحسن فالله يحب عمله ولا يحبه)

عَمَلٍ نَبَاتَا . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ ، وَالْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ . فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَذْكُرُ فِيهَا بَدِيعَ خِلْقَةِ الْخُفَّاشِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ [1] وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ . هُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى الْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا . وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ الْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا ، خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ. فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَانْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ

البغض إلا عذابا يتطهر به من خبث أعماله . ويحب من الكافر عمله إن كان حسناء ويبغض ذاته لالتياثها بدنس الكفر، ولاينتفع بالعمل المحبوب إلا انفعا موقتا فى الدنيا وله فى الآخرة عذاب عظيم ، فلا يكمل للانسان حظه من السعادة إلا إذا كان مؤمنا طيب العمل (١) انحسرت : انقطعت

ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ . وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ . وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا[1] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا ، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا . وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[2] وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا[3] ، فَهِيَ مُسْدِلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا . وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا . فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[4] . وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ . فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا ، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[5] ، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[6] أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[7] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[8] . فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا . وَٱلنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا . وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلطَّيَرَانِ

---

(١) العشا ـ مقصورا ـ سوء البصر وضعفه (٢) سبحات النور : درجانه وأطواره (٣) الائتلاق : اللمعان . والبلج ـ بالتحريك ـ الضوء و وضوحه (٤) أسدف الليل : أظلم . والدجنة الظلمة ، وغسق الدجنة شدتها (٥) أوضاح ـ جمع وضح بالتحريك ـ وهو هنا بياض الصبح (٦) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب الحيوان المعروف . والوجار ـ ككتاب ـ الجحر (٧) جمع ماق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف (٨) تبلغت : اكتفت أو اقتاتت

كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلْآذَانِ[١]، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ[٢]. إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً[٣]. لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا[٤]. وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ. وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ. لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ. وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ. وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ[٥].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ ٱلْبَصْرَةِ عَلَى جِهَةِ ٱقْتِصَاصِ ٱلْمَلَاحِمِ

فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى ٱللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ عَلَى سَبِيلِ ٱلْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ

---

(١) شظايا : جمع شظية ـ كعطية ـ وهى الفلقة من الشىء، أى كأنها مؤلفة من شقق الآذان (٢) القصبة : عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح، وقد يكون مجرداً عن الزغب فى بعض الحيوانات مما ليس بطائر كبعض أنواع القنفد أو الفيران له قصب محدد الاطراف يرمى به صائده كما يرمى النابل، و يعرف بالفأر الأمريكى (٣) أى رسوما ظاهرة (٤) لما يرقا، عبر بلما إشارة إلى أنهما مارقا فى الماضى ولاهما رقيقان، فهو نفى مستمر إلى وقت الكلام فى أى زمن كان (٥) خلا تقدمه من سواه فاذاه

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ(١) ، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى

(مِنْهُ) سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ . فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ . وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ . وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ . وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا . وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ(٢) . وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ(٣) . مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى

(مِنْهُ) قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ(٤) ، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ . لِكُلٍّ دَارٍ أَهْلُهَا ، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا . وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ .

---

(١) المرجل : القدر . والقين ـ بالفتح ـ الحداد، أى أن ضغينتها وحقدها كانا دائمى الغليان كقدر الحداد فانه يغلى مادام يصنع . ولو دعاها أحد لتصيب من غيرى غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ماأتت إلىّ ـ أى فعلت بى ـ لم تفعل، لأن حقدها كان على خاصة (٢) وبالدنيا الخ : أى أنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سببا فى حرص الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل، وبهذا يحرز الآخرة (٣) المقصر ـ كمقعد ـ المحبس، أى لامستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون اليها مرقلين أى مسرعين فى ميدان هى غايته ومنتهاه (٤) شخصوا : ذهبوا

وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ . وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ[1] وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ[2] . وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ[3] . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

(وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ ٱلْفِتْنَةِ وَهَلْ سَأَلْتَ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهَا فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

لَمَّا أَنْزَلَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ (الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ يَارَسُولَ ٱللهِ مَاهٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِهَا[4] فَقَالَ : « يَاعَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

والأجداث القبور والمصائر الغايات ـ جمع مصير ـ مايصير اليه الانسان من شقاء وسعادة. والكلام فى القيامة (١) نقع العطش إذا أزاله (٢) يستعتب من أعتب ، إذا انصرف . والسين والتاء للطلب أو زائدتان ، أى لايميل عن الحق فيصرف، أو يطلب منه الانصراف عنه (٣) أخلقه : ألبسه ثوباً خلقاً أى بالياً، وكثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة ، أى أن القرآن دائماً فى أثوابه الجدد رائق لنظر العقل وان كثرت تلاوته لانطباقه على الأحوال المختلفة فى الأزمنة المتعددة وليس كسائر الكلام كلما تكرر ابتذل وملته النفس (٤) فقلت يارسول الله الخ أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكية والسؤال كان بعد أحد ، ووقعته كانت بعد الهجرة ،

وَحِيزَتْ عَنِّى ٱلشَّهَادَةُ (١) فَشَقَّ ذَٰلِكَ عَلَىَّ فَقُلْتَ لِى: « أَبْشِرْ فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » فَقَالَ لِى : « إِنَّ ذَٰلِكَ لَكَذَٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذًا (٢) » فَقُلْتُ : يَارَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هَٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ ، وَلَٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَى وَٱلشُّكْرِ (٣). فَقَالَ: « يَاعَلِيُّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ . وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ . فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَٱلسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ. وَٱلرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ يَارَسُولَ ٱللهِ: بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَٰلِكَ ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ ؟ فَقَالَ : « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ »

وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام و بين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها ، والذى أراه أن علمه بكون الفتنة لاتنزل والنبى بين أظهرهم كان عند نزول الآية فى مكة ، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك ، ثم بعد ماخفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم سأل هذا السؤال فالفاء لترتيب السؤال على العلم ، والعلم كان ممتداً إلى يوم السؤال فهى لتعقيب قوله لعلمه ، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها وان امتد زمن ماقبلها سنين، تقول تزوج فولدله وحملت فولدت (١) حيزت حازها الله عنى فلم أنلها (٢) على أية حالة يكون صبرك إذا هيئت لك الشهادة (٣) قوله من مواطن البشرى، هذا شأن أهل الحق يستبشرون بالموت فى سبيل الحق فانه الحياة الأبدية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى جَعَلَ الْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ . وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ . عِبَادَ اللّٰهِ إِنَّ الدَّهْرَ يَجْرِى بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ . لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ . آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ . مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ[١] ، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ . فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ الزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ . فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِى الظُّلُمَاتِ ، وَارْتَبَكَ فِى الْهَلَكَاتِ . وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِى طُغْيَانِهِ ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ . فَالْجَنَّةُ غَايَةُ السَّابِقِينَ . وَالنَّارُ غَايَةُ الْمُفَرِّطِينَ

اعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ . وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ[٢] . أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا[٣] . وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى

---

(١) تتسابق أمور الدهر ، أى مصائبه كأن كلا منها يطلب النزول قبل الآخر فالسابق منها مهلك . والمتأخر لا حق له فى مثل أثره . والأعلام هى الرايات كنى بها عن الجيوش وتظاهرها : تعاونها . والساعة : القيامة. وحدوها : سوقها وحثها لأهل الدنيا على المسير للوصول اليها . وزاجر الابل : سائقها . والشول -بالفتح- جمع شائلة ، وهى من الابل مامضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر (٢) لايحرز ، أى لايحفظ (٣) الحمة - بضم ففتح- فى الأصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع

عِبَادَ ٱللهِ ، ٱللهَ ٱللهَ فِي أَعَزِّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ . فَإِنَّ ٱللهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ . فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ ٱلْفَنَاءِ[1] لِأَيَّامِ ٱلْبَقَاءِ. فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ[2] . وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ . فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ[3]

عِبَادَ ٱللهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ . عِبَادَ ٱللهِ ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ . وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ . وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ[4] ، وَعُيُونًا مِنْ

بها . والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس (١) يريد أيام الدنيا (٢) المراد بالظعن المأمور به ههنا السير الى السعادة بالاعمال الصالحة ، وهذا ماحثنا الله عليه. والمراد بالمسير الذى لاندرى متى نؤمر به هو مفارقة الدنيا. والأمر فى الأول خطابى شرعى وفى الثانى فعلى تكوينى (٣) تبعتهما يتعلق به من حق الغير فيه (٤) الرصد: يريد به رقيب الذمة وواعظ السر الروحى الذى لايغفل عن التنبيه ولا يخطىء فى الانذار والتحذير حتى لا تكون من مخطىء خطيئة الا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب، ويعيبه على ما اقترف، ويبين له وجه الحق فيما فعل. ولا تعارضه علل

جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ . وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ . لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ(١) وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ(٢) ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ . وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ . قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ(٣) . وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ . وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ . وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا . فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ(٤) ،

الهوى ولا يخفف مرارة نصحه تلاعب الأوهام. وأى حجاب يحجب الانسان عن سره

(١) الرتاج — ككتاب — الباب العظيم إذا كان محكم الغلق (٢) منزل وحدته هو القبر (٣) زاحت : بعدت وانكشفت (٤) الهجعة : المرة من الهجوع وهو النوم ليلا، نوم الغفلة فى ظلمات الجهالة وانتقاض الأحكام الالهية التى أبرمت على ألسنة

وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ . فَجَاءَهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ . ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ . أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِى ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ

(مِنْهَا) فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[1] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِى السَّمَاءِ وَلَا فِى الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ[2] ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ . وَسَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ[3] . وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَدِثَارِ السَّيْفِ[4] . وَإِنَّمَاهُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ[5] . فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِى كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ[6] ثُمَّ

الأنبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها (١) الاشارة بذلك لحالة الاختلاف ومخالفة القرآن بالتأويل . والترحة ضد الفرحة (٢) أصفيته بالشيء ، آثرته به واختصصته (٣) الصبر ــ ككتف ــ عصارة شجر مر . والمقر ــ على وزانه ــ السم (٤) الدثار ــ ككتاب ــ من اللباس أعلاه فوق اللابس. والسيف يكون أشبه بالدثار إذا عمت إباحة الدم باحكام الهوى فلا يكون لبدن ولا لعضو منه انفلات عنه (٥) الزوامل : جمع زاملة ، وهى مايحمل عليها الطعام من الابل ونحوها (٦) نخم ــ كفرح ــ أخرج النخامة من صدره فالقاها . والنخامة ــ بالضم ــ ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد

لا تَذُوقُهَا وَلا تَتطعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبدًا ما كَرَّ ٱلْجَدِيدَان

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَلقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ٱلذُّلِّ . وَحَلَقِ ٱلضَّيْمِ [1] شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ . يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ . ٱللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي : حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ . حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ . وَمَا ٱلَّذِي نَرَى

---

(١) حلق ـ بحركة ـ جمع حلقة

مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ[1] ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ[2] رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَالِهًا ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا[3]

(مِنْهَا) يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللّٰهَ . كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللّٰهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ[4] وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللّٰهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ

---

(١) ذرأت : خلقت (٢) المور – بالفتح – الموج (٣) كليلا . والمبهور المغلوب والمنقطع نفسه من الاعياء . والواله – من الوله – وهو ذهاب الشعور (٤) المدخول: المغشوش غير الخالص أو هو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل . والخوف المحقق هو الثابت الذى يبعث على البعد عن المخوف والهرب منه وهو فى جانب الله ما يمنع عن إتيان نواهيه ويحمل على إتيان أوامره هرباً من عقابه وخشية من جلاله . والخوف المعلول هو مالم يثبت فى النفس ولم يخالط القلب ، و إنما هو عارض فى الخيال يزيله أدنى الشواغل و يغلب عليه أقل الرغائب ، فهو يرد على الوهم ثم يفارقه ثم يعود إليه ، شان الأوهام التى لا قرار لها ، فهو معلول: من عله يعله إذا شربه مرة بعد أخرى ، ومراد الامام أن الراجى لعبد من العبيد يظهر رجاؤه فى سعيه واهتمامه بشأن من رجاه وموافقته على أهوائه ، وكذلك الخائف من أمير أو سلطان يرى أثر خوفه فى تهيبه والامتناع من كل ما يحرك غضبه ، بل ما يتوهم فيه أنه غير حسن عنده ،

يَرْجُو ٱللهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَالَا يُعْطِي ٱلرَّبَّ . فَمَا بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِبًا ؟ أَوْتَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعًا ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَالَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا[1] . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا . وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ[2] . وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا[3] ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَٱللهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ

لكنهم فى رجاء الله وخوفه يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، مع أنهم يرجون الله فى سعادة الدارين ويخافونه فى شقاء الأبد، فيعطون للعبيد مالا يعطون لله (١) الضمار ـ ككتاب ـ من الوعود ما كان مسوفا به (٢) الأسوة : القدوة (٣) الأكناف : الجوانب.

تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ(١) . وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ صَاحِبِ الْمَزَامِيرِ وَقَارِىءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ الْخُوصِ بِيَدِهِ(٢) ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا . وَيَأْكُلُ قُرْصَ الشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ الْحَجَرَ وَيَلْبَسُ الْخَشِنَ وَيَأْكُلُ الْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ الْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ الْقَمَرَ . وَظِلَالُهُ فِي الشِّتَاءِ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا(٣) ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ . دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ . فَتَأَسَّ(٤) بِنَبِيِّكَ الْأَطْيَبِ الْأَطْهَرِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ الْعِبَادِ إِلَى اللهِ الْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَالْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ الدُّنْيَا قَضْماً(٥) ، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً . أَهْضَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا

وزوى أي قبض (١) الصفاق — ككتاب — هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر ، أوهو ما بين الجلد والمصران أو جلد البطن كله . والتشذب : التفرق . وانهضام اللحم : تحلل الأجزاء وتفرقها (٢) السفائف — جمع سفيفة — وصف ، من سف الخوص اذا نسجه ، أي منسوجات الخوص (٣) ظلاله — جمع ظل — بمعنى السكن والمأوى ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له (٤) تأس : أي اقتد (٥) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، كأنه لم يتناول منها إلا على أطراف أسنانه ولم يملأ منها فمه ، أو بمعنى

كَشْحًا[١] ، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا . عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَّرَ شَيْئًا فَحَقَّرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ[٢] . وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ[٣] ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ . وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا[٤] . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا[٥] ، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا ، فَأَخْرَجَهَا

---

(١) أهضم من الهضم : وهو خمص البطن أى خلوها وانطباقها من الجوع . والكشح مابين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وأخمصهم : أخلاهم (٢) المحادة المخالفة فى عناد (٣) خصف النعل : خرزها . والحمار العارى ماليس عليه برذعة ولا اكاف . وأردف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه (٤) فى هذا دليل على أن الرسم على الورق والأثواب ونحوها لايمنع استعماله ، وإنما يتجافى عنه بالنظر تزهدا وتورعا (٥) الرياش : اللباس الفاخر

مِنَ ٱلنَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ[١] ، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا . إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ[٢] ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ ٱللَّهُ مُحَمَّدًا بِذَٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ[٣] ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ[٤] ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِالْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصًا[٥] ، وَوَرَدَ ٱلْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللَّهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ[٦] . وَٱللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ

---

(١) أشخصها : أبعدها (٢) خاصته اسم فاعل فى معنى المصدر أى مع خصوصيته وتفضله عندر به. وعظم الزلفة : منزلته العليا من القرب إلى الله . وزوى الدنيا عنه قبضها وأبعدها (٣) فتأسى خبر يريد به الطلب أى فليقتد مقتد بنبيه (٤) العلم ـ بالتحريك ـ العلامة أى أن بعثته دليل على قرب الساعة حيث لا نبي بعده (٥) خميصا : أى خالى البطن كناية عن عدم التمتع بالدنيا (٦) العقب ـ بفتح فكسر ـ مؤخر القدم.

مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى اُسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِها(١) . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنبذُهَا ؟ فَقُلْتُ اُغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ اُلصَّبَاحِ يَحْمَدُ اُلْقَوْمُ اُلسُّرَى(٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ اُلسَّلَامُ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ اُلْمُضِيءِ وَاُلْبُرْهَانِ اُلْجَلِيِّ ، وَاُلْمِنْهَاجِ اُلْبَادِي(٣) وَاُلْكِتَابِ اُلْهَادِي . أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ(٤) ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ . أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ(٥) . مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ(٦) . عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَاُمْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ(٧) . أَظْهَرَ بِهِ اُلشَّرَائِعَ اُلْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ اُلْبِدَعَ اُلْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ اُلْأَحْكَامَ اُلْمَفْصُولَةَ(٨) . فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ اُلْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقُ

ووطوء العقب مبالغة فى الاتباع والسلوك على طريقه نقفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه (١) المدرعة ــ بالكسر ــ ثوب من صوف (٢) اغرب عنى : اذهب وابعد. والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقدرأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ماساروا اليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ماقصدوا . والسرى ــ بضم ففتح ــ السير ليلا (٣) أى الظاهر (٤) الأسرة ــ كغرفة ــ رهط الرجل الأدنون (٥) متدلية : دانية للاقتطاف (٦) المدينة المنورة (٧) من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم (٨) المفصولة التى فصلها الله

شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ[١] . وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الإِنَابَةِ إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّي إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ[*] .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا . رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[٢] . وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ . فَغُضُّوا عَنْكُمْ - عِبَادَ اللهِ - غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا . فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ[٣] وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ . وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ . قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ[٤] ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ . فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا

---

(١) الكبوة : السقطة (٢) أسبغ أى أحاط بجميع وجوه الترغيب (٣) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد . والكادح : المبالغ فى سعيه (٤) تزايلت : تفرقت . والاوصال : المفاصل أو مجتمع العظام وتفرقها أى قضى بها على عباده

(*) من أول الخطبة الى هنا زيادة فى بعض النسخ

يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ حَذَرَ ٱلْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، ٱلْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، ٱلنَّاظِرِ بِعَقْلِهِ . فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَٱلْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَٱلطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَٱلسَّبِيلَ قَصْدٌ[1]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ : كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هٰذَا ٱلْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ؟ فَقَالَ :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ ٱلْوَضِينِ[2] تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ ٱلصِّهْرِ وَحَقُّ ٱلْمَسْأَلَةِ ، وَقَدِ ٱسْتَعْلَمْتَ فَٱعْلَمْ . أَمَّا ٱلِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَنَحْنُ ٱلْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَٱلْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطاً[3] ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةً شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ

---

(١) الجدد ـ بالتحريك ـ المستوى المسلوك والقصد القويم كناية عن تبددهم وفنائهم

(٢) الوضين : بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فاذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل وقل ثباته في سيره . والارسال : الاطلاق والاهمال. والسدد ـ محركا ـ الاستقامة، أي تطلق لسانك بالكلام في غير موضعه كحركة الجمل المضطرب في مشيته . والذمامة : الحماية والكفاية . والصهر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج ، وإنما كان للأسدي حماية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله كانت أسدية

(٣) النوط ـ بالفتح ـ التعلق. والاثرة: الاختصاص بالشيء دون مستحقه.

قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ. وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعْوَدُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ(١)

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ(٢)، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ. وَلَا غَرْوَ وَاللهِ فَيَالَهُ خَطْباً. يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ. حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ(٣)، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً(٤). فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ(٥)، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى(٦) «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ»

والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت (١) البيت لامرىء القيس. وتتمته :

وهات حديثاً ما حديث الرواحل

قاله عند ما كان جاراً لخالد بن سدوس فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله فشكا لمجيره خالد فقال له أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأرد ابلك وأهلك ، فأعطاه ، وأدرك خالد القوم فقال لهم ردوا ما أخذتم من جارى ، فقالوا ما هو لك بجار ، فقال والله انه جارى وهذه رواحله، فقالوا رواحله ؟ فقال نعم . فرجعوا اليه وأنزلوه عنهن وذهبوا بهن . والنهب بالفتح الغنيمة. وصيح أى صاحوا للغارة. فى حجراته جمع حجرة ـ بفتح الحاء ـ الناحية. ووجه التمثيل ظاهر (٢) هلم: اذكر. والخطب عظيم الأمر وعجيبه الذى أدى لقيام من ذكره لمنازعته فى الخلافة . والاود الاعوجاج (٣) الفوار والفوارة من الينبوع : الثقب الذى يفور الماء منه بشدة (٤) جدحوا : خلطوا. والشرب بالكسر النصيب من الماء . والوبىء : مايوجب شربه الوباء، يريد به الفتنة التى يردونها نزاعا له فى حقه كأنها ماء خلط بالمواد السامة القاتلة (٥) محض الحق : خالصه (٦) وإن لا يزالوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ ، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ[١] . لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ . هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ . خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ . حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا[٢] . لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ . لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى ، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى . ٱلظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّا[٣] ، وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَا . لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى[٤] ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى . لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِٱفْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ[٥] ، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ ، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ[٦] ، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ

مفتونين فلا تمت نفسك غما عليهم (١) المهاد : الأرض . والوهاد ـ جمع وهدة ـ ماانخفض من الأرض . والنجاد ـ جمع نجد ـ ماارتفع منها ، وتسييل الوهاد بمياه الأمطار ، وتخصيب النجاد بأنواع النبات (٢) الابانة ههنا التمييز والفصل ، والضمير فى له يرجع اليه سبحانه أى تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أى مشابهتها . و إبانة مفعول لأجله يتعلق بحد ، أى حد الأشياء تنزيها لذاته عن مماثلتها (٣) ظاهر بآثار قدرته ولايقال من أى شىء ظهر (٤) ليس بجسم فيفنى بالاضمحلال (٥) شخوص لحظة : امتداد بصر (٦) ازدلاف الربوة : تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات

دَاجٍ(١) ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ(٢) ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ(٣) ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ . مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ(٤) ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ(٥) الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ . وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ(٦) ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ . فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ(٧) لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ(٨) ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ

---

(١) الداجى : المظلم. والغسق : الليل . وساج أى ساكن لاحركة فيه (٢) أصل التفيؤ للظل نسخ نور الشمس . ولما كان الظلام بالليل عاما كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس ، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه (٣) الأفول : المغيب . والكرور : الرجوع بالشروق (٤) قوله قبل كل غاية متعلق بيخفى على معنى السلب، أى لايخفى عليه شىء من ذلك قبل كل غاية، أى يعلمه قبل الخ. ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية، أى هو موجود قبل كل غاية الخ (٥) نحله القول ـ كنعه ـ نسبه اليه أى عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها. من صفات الاقدار جمع قدر ـ بسكون الدال ـ وهو حال الشىء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر. ونهايات الأقطار هى نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة (٦) التأثل: التأصل (٧) لم تكن مواد متساوية فى القدم والأزلية وكان له فيها أثر التصوير والتشكيل فقط ، بل خلق المادة بجوهرها ، وأقام لها حدها ، أى ما به امتازت عن سائر الموجودات وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها (٨) أى لايمتنع عليه

شَيْءٍ انْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ الْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ الْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ الْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الْأَرَضِينَ السُّفْلَى

(مِنْهَا) أَيُّهَا الْمَخْلُوقُ السَّوِيُّ (١) ، وَالْمُنْشَأُ الْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ الْأَسْتَارِ . بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ (٢) ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ الْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ . هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي الْهَيْئَةِ وَالْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ . وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ الْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ

تمكن إذا قال للشيء كن فيكون (١) مستوى الخلقة لانقص فيه . والمنشأ المبتدع. والمرعى المحفوظ (٢) السلالة من الشيء : ماانسل منه . والنطفة : مزيج ينسل من البدن المؤلف من عناصر الأرض المخلوطة بالمواد السائلة ، فالمزاج البدنى أشبه بالمزاج الطينى بل هو [منه] بنوع اتقان واحكام. والقرار المكين: محل الجنين من الرحم. والقدر المعلوم: مبلغ المدة المحددة للحمل . وتمور : تتحرك . ولاتحير ، من قولهم ما أحار جوابا مارد أى لاتستطيع دعاء

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَشَكَوْا مَا نَقِمُوهُ عَلَى عُثْمَانَ وَسَأَلُوهُ مُخَاطَبَتَهُ عَنْهُمْ وَاسْتِعْتَابَهُ لَهُمْ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ[١] وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ. إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ. مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ. وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحِبْنَا. وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا[٢]. وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا. فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَاللهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ، وَإِنَّ الطُّرُقَ

---

(١) استسفروني : جعلوني سفيراً (٢) الوشيجة : اشتباك القرابة، وانما كان عثمان أقرب وشيجه لرسول الله لأنه من بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما أبو بكر فهو من بني تيم بن مرة سابع أجداد النبي ، وعمر من بني عدي بن كعب ثامن أجداده صلى الله عليه وسلم . وأما أفضليته عليهما في الصهر فلأنه تزوج ببنتي رسول الله رقية وأم كلثوم، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمي ذا النورين . وغاية مانال الخليفتان أن النبي تزوج

لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَى بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا[١] » وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ عَلَيْهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ . يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا[٢] . فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً[٣] يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

---

(١) ربطه فارتبط، أي شده وحبسه (٢) المرج: الخلط (٣) السيقة ـ ككيسة ـ ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتبا ومشيراً لعثمان من بناتهما ،

٧٠

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خِلْقَةِ الطَّاوُوسِ

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ. فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ. وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ[1]، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ[2] ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا. مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ[3] وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[4]. وَمَنَعَ

---

(١) نعقت من نعق بغنمه ـ كمنع ـ صاح (٢) ذرأ: خلق. والأخاديد ـ جمع أخدود الشق فى الأرض والخروق جمع خرق ـ: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والفجاج ـ جمع فج ـ الطريق الواسع وقد يستعمل فى متسع الفلا. والأعلام جمع علم بالتحريك، وهو الجبل (٣) يصرفها الله فى أطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيره واستخدامه لها فيما خلقها لأجله. ومرفرفة من رفرف الطائر بسط جناحيه. والمخارق ـ جمع مخرق ـ الفلاة. وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما (٤) الحقاق ـ ككتاب ـ: جمع حق بالضم ـ مجتمع المفصلين واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد والعبالة: الضخامة. ويسمو يرتفع وخفوفا سرعة وخفة. ودفيف الطائر: مروره فويق الأرض، أو أن يحرك جناحيه ورجلاه

بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفًا .
وَنَسَقَهَا عَلَى ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ[١] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ .
فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ[٢] لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ . وَمِنْهَا
مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا
ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ
تَنْضِيدٍ[٣] ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى
ٱلْأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ[٤] كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ
عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ . يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ ،
وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ[٥] فِي ٱلضِّرَابِ . أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ

في الأرض. و يدف بضم الدال(*) (١) نسقها: رتبها. والأصابيغ: جمع أصباغ ـ بفتح الهمزة ـ جمع صبغ بالكسر وهو اللون أو مايصبغ به (٢) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتى على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ فى قالب من اللون . وقوله قد طوق أى جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صيغ لحليته (٣) التنضيد : النظم والترتيب . وقوله أشرج قصبه : أى داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها فى الطول والقصر و إذا مشى إلى أنثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب بعد طيه (٤) سمابه أى ارتفع به ، أى رفعه مطلا على رأسه ، أى مشرفا عليه كأنه يظلله . والقلع ـ بكسر فسكون ـ شراع السفينة . وعنجه : جذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه . ويختال : يعجب . ويميس : يتبختر بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبختر أيضاً و يريد بهٰهنا حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا (٥) يفضى : أى يسافد أنثاه كما تسافد الديكة جمع ديك. ويؤر ـ كيشد ـ أى يأتى

(*) فى المنجد بكسر الدال

عَلَى مُعَايَنَةٍ(١) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ(٢) ، فَتَقِفُ فِي صَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ(٣) . تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ(٤) فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ

أنثاه . بملاقحة أي مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم قابل . والمغتلمة . على صيغة اسم الفاعل . من اغتلم إذا غلب للشهوة . والضراب : لقاح الفحل لأنثاه (١) أي ان لم يكفك الخبر فانى أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول (٢) تسفحها أي ترسلها أوعية الدمع . وضفة الجفن : استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه . وتطعم ذلك ـ كتعلم ـ أي تذوقه كأنها ترشفه . ولقاح الفحل ـ كسحاب ـ ماء التناسل يلقح به الأنثى . والمنبجس النابع من العين (٣) لما كان ذلك بأعجب أي لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره . والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة . ومنشأ الزعم في الغراب اخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم : أخفى من سفاد الغراب (٤) القصب ـ جمع قصبة ـ هي عمود الريش . والمدارى ـ جمع مدرى بكسر الميم ـ قال ابن الأثير المدرى والمدراة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد و يستعمله من لامشط له . والدارات : هالات القمر . والعقيان : الذهب الخالص أو ماينمو منه في معدنه . وفلذ ـ كعنب ـ جمع فلذة بمعنى القطعة . وماأنبت معطوف على قصبه . والتشبيه في بياض القصب والصفرة

جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ [١]. وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ [٢]، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ [٣]. يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ [٤] وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكًا لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ [٥] فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلًا بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ [٦] وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ [٧]. وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ [٨]. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ. وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ

والخضرة فى الريش (١) جنى أى مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون (٢) الموشى: المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل. والعصب ـ بالفتح ـ ضرب من البرود منقوش (٣) جعل اللجين ـ وهو الفضة ـ منطقة لها. والمكلل: المزين بالجواهر. فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها (٤) المرح ـ ككتف ـ المعجب والمختال الزاهى بحسنه (٥) السربال: اللباس مطلقا أو هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين احداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءا من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح (٦) زقا يزقو: صاح، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين أى يفصح عن استغاثته من كراهة قوائمه أى ساقيه. حمش ـ جمع أحمش ـ أى دقيق. والديك الخلاسى ـ بكسر الخاء ـ هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية (٧) وقد نجمت أى نبتت من ظنبوب ساقه أى من حرف عظمه الأسفل صيصية وهى شوكة تكون فى رجل الديك. والظنبوب ـ بالضم ـ كعرقوب عظم حرف الساق (٨) القنزعة ـ بضم

بَطْنُهُ كَصِبْغِ الْوَسِمَةِ الْيَمَانِيَةِ[١]، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْآةً ذَاتَ صِقَالٍ[٢] وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[٣]. إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ الْخُضْرَةَ النَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ الْقَلَمِ فِي لَوْنِ الْأُقْحُوَانِ[٤] أَبْيَضُ يَقَقٌ. فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ[٥]. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ[٦]، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ[٧]. فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ الْمَبْثُوثَةِ[٨] لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ[٩] وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ. وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ[١٠]، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ انْحِتَاتَ أَوْرَاقِ

القاف والزاى ـ بينهما سكون ـ الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى. وموشاة: منقوشة (١) مغرزها: الموضع الذى غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن لونه كاون الوسمة وهى نبات يخضب به، أو هى نبات النيل الذى منه صبغ النيلج المعروف بالنيلة (٢) الصقال: الجلاء (٣) المعجر ـ كمنبر ـ: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطى رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا. والأسحم الأسود (٤) الأقحوان: البابونج. واليقق ـ محركا ـ شديد البياض (٥) يلمع (٦) نصيب (٧) علاه أى فاق اللون الذى أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه. والبصيص: اللمعان. والرونق: الحسن (٨) الأزاهير: جمع أزهار جمع زهر (٩) لم تربها، فعل من التربية. والقيظ: الحر (١٠) يتحسر هو من حسره أى كشفه، أى وقد ينكشف من ريشه.

ٱلْأَغْصَانِ[١] ، ثُمَّ يَتَلَاحَقُ نَامِياً حَتَّى يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ. لَا يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ ، وَلَا يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ . وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَصَبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً ، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً ، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[٢] . فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَى صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ[٣] ، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ . وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلْأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ . فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ[٤] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً . وَأَعْجَزَ ٱلْأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ . وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ[٥] وَٱلْهَمَجَةِ إِلَى مَافَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلْأَفْيِلَةِ . وَوَأَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ لَا يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلَّا وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ[٦]

(مِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[٧] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا

وتترى أي شيئاً بعد شيء (١) ينحت : يسقط وينقشر (٢) ذهبية (٣) عمائق جمع عميقة (٤) بهرالعقول: قهرهافردها. وجلاه ـ كحلاه ـ كشفه (٥) الذرة : واحدةالذر: صغارالنمل . والهمجة ـ محركة ـ واحدةالهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمها : أرجلها . وأدمجها : أودعهافيها (٦) وأى : وعد . والحمام : الموت(٧) عزفت الابل ـ كفرح ـ اشتكت بطونها من أكل العزف : وهوالثمام، أي لكرهت بدائع

وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتْ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[١] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[٢] ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[٣] . تُجْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[٤] فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ[٥] ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ[٦] ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ[٧] لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(تَفْسِيرُ بَعْضِ مَا فِي هٰذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ)[*]

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ الْأَرُّ كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ، يُقَالُ أَرَّ الْمَرْأَةَ

الدنيا كما تكره الابل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الابل من أكل الثمام (١) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت . والكثبان ـ جمع كثيب ـ وهو التل (٢) جمع فنن ـ بالتحريك ـ وهو الغصن (٣) غلف بضمتين ـ جمع غلاف ـ والأكمام جمع كم بكسر الكاف ـ وهو وعاء الطلع وغطاء النوار (٤) تحنى من حناه حنوا عطفه (٥) المصفاة (٦) قوله قوم الخ أى هم قوم أى نزال الجنة قوم شأنهم ماذكره (٧) المونقة : المعجبة

(*) هذا التفسير غير موجود فى بعض النسخ

يَؤُزُّهَا أَىْ نَـكَحهَا ، وَقَوْلُهُ كَأَنَّهُ قِلعُ دَارِيٍّ عَنجَهُ نُوتِيُّهُ : اُلْقِلْعُ شِرَاعُ اُلسَّفِينَةِ، وَدَارِيٌّ: مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى اُلْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا اُلطِّيبُ.وَعَنَجَهُ أَىْ عَطفَهُ . يُقَالُ عَنَجْتُ اُلنَّاقَةَ ـ كَنَصَرْتُ ـ أَعْنُجُهَا عَنْجًا إِذَا عَطَفْتُهَا. وَاُلنُّوتِيُّ اُلْمَلَّاحُ. وَقَوْلُهُ صَفَّتَيْ جُفُونِهِ، أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ . وَاُلصَّفَّتَانِ اُلْجَانِبَانِ . وَقَوْلُهُ وَفِلَذِ اُلزَّبَرْجَدِ ، اُلْفِلَذُ: جَمْعُ فِلْذَةٍ ، وَهِيَ اُلْقِطعَةُ . وَقَوْلُهُ كَبَائِسِ اُللُّؤْلُؤِ اُلرَّطْبِ ، اُلْكِبَاسَةُ : اُلْعِذْقُ[1] . وَاُلْعَسَالِيجُ اُلْغُصُونُ ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ اُلسَّلَامُ

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ[2] ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ . وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ اُلْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي اُلدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اُللهِ يَعْقِلُونَ . كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ[3] يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْرًا. وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا

---

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون

(٢) ليتأس : أى ليقتد (٣) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والأداحى ــ جمع أدحى ــ كالجى وهو مبيض النعام فى الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه فاذا مر مار بالأداحى فرأى فيها بيضا أرقط ظن أنه بيض القطا لكثرته والفه للأ فاعى مطلقاً يبيض فيها، فلا يسوغ المار أن يكسر البيض، وربما كان فى الحقيقة بيض ثعبان فينتج حضانه الطير له شرا . وكذلك الانسان الجاهل الجافى صورته الانسانية تمنع

(مِنْهَا) اُفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ . فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ . عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ[١] يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ . ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ . يُزَعْزِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ[٢] ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ . وَايْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ

من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً ، فانه بجهله يكون أشد ضرراً على الناس من الثعبان بسمه (١) القزع -محركا- : القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك . والركام : السحاب المتراكم . والمستثار : موضع انبعاثهم ثائرين . وسيل الجنتين هو الذى سماه الله سيل العرم الذى عاقب الله به سبأ على مابطروا نعمته فدمر جنانهم وحول نعيمهم شقاء. والقارة - كالقرارة - ماالطمأن من الأرض. والأكمة -محركة- غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه . والسنن يريد به الجرى . والطود : الجبل العظيم والمقصود الجمع . والرص يراد به الارتصاص أى الانضمام والتلاصق، أى لم يمنع جريته تلاصق الجبال . والحداب -جمع حدب بالتحريك - ماغلظ من الأرض فى ارتفاع

(٢) يزعزعهم : يفرقهم . و بطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء ، ثم يسلكهم ينابيع فى الأرض أى أنهم يسرون دعوتهم و ينفثونها فى الصدور حتى تثور ثائرتها فى القلوب كانفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك فى قيام الهاشميين على الأمويين

ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ(١) كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ عَلَى ٱلنَّارِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَوْلَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَمَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ . لٰكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ ٱلتِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا(٢) بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ ٱلْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ ٱلْأَبْعَدَ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ ٱلدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ ٱلِاعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمُ ٱلثِّقْلَ ٱلْفَادِحَ عَنِ ٱلْأَعْنَاقِ(٣)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ

إِنَّ ٱللّٰهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ . فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ تَقْصِدُوا(٤) . ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ ، أَدُّوهَا إِلَى ٱللّٰهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . إِنَّ ٱللّٰهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ(٥) ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ

في زمن مروان الحمار (١) الضمير في أيديهم لبني أمية . والالية الشحمة (٢) ليضعفن لكم التيه : لتزادن لكم الحيرة أضعاف ما هي لكم الآن (٣) الفادح ــ من فدحه الدين إذا أثقله (٤) صدف : أعرض. والسمت : الجهة. وتقصدوا تستقيموا (٥) معيب

بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[١]. فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ[٢] فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ مَا بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لَوْ عَاقَبْتَ قَوْمًا مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عُثْمَانَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَٰكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ.

(١) أى جعل الحقوق مرتبطة بالاخلاص والتوحيد لا تنفك عنه. ومعاقد الحقوق: مواضعها من الذمم (٢) بادره: عاجله، أى عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد فتهلكوا، فاذا انقضى عملكم فى شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا يأخذكم على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة. وفى تقديم الامام أمر العامة على أمر الخاصة دليل على أن الأول أهم ولايتم الثانى إلا به. وهذا ماتضافرت عليه الأدلة الشرعية

وَهَاهُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ[١] يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا . وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ . وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً[٢] . إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هذَا ٱلْأَمْرِ ـ إِذَا حُرِّكَ ـ عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هٰذَا وَلَا ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ ٱلنَّاسُ ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمِحَةً[٣] فَاهْدَأُوا عَنِّي ، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي . وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً[٤] . وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ ٱلدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ[٥]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ

إِنَّ ٱللّٰهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ[٦] . وَإِنَّ ٱلْمُبْتَدَعَاتِ ٱلْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ[٧] إِلَّا مَا حَفِظ

---

(١) خلالكم: فيما بينكم (٢) مادة أى عونا ومددا (٣) مسمحة : اسم فاعل ، من أسمح إذا جاد وكرم ، كأنها لتيسرها عند القدرة تجود عليه بنفسها فيأخذها (٤) ضعضعه : هدمه حتى الأرض. والمنة ـ بالضم ـ القدرة . والوهن : الضعف (٥) الكى كناية عن القتل (٦) الامن كان فى طبعه عوج جبلى ختم عليه الشقاء الأبدى (٧) البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به هى المهلكة إلا أن يحفظ وان غفل عنه الناس فى أزماننا هذه

اللهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ . فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا(١) . وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ(٢) .

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي(٣) ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ(٤) انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ(٥)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ ، فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُحْدِثُ حَدَثًا

(١) ملوّمة ـ من لوّمه ـ مبالغة فى لامه أى غير ملوم عليها بالنفاق الله منها بالتوبة (٢) يأرز : يرجع (٣) تمالأوا اتفقوا وتعاونوا. والسخطة ـ بالفتح ـ الكراهة وعدم الرضاء. والمراد من هؤلاء من انتقض عليه من طلحة والزبير رضى الله عنهما والمنضمين اليهما (٤) فيالة الرأى ـ بالفتح ـ ضعفه. وأفاءها عليه : أرجعها اليه (٥) النعش مصدر

حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ . فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا ؟ قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ . فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَامْدُدْ إِذًا يَدَكَ . فَقَالَ ٱلرَّجُلُ فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . وَٱلرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ ٱلْجَرْمِيِّ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لَمَّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ ٱلْقَوْمِ بِصِفِّينَ

اللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ[1] ، ٱلَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ ، وَمُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ . وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ . وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ وَٱلْأَنْعَامِ ، وَمَا

نعشه إذارفعه (١) الجو : مابين الأرض والأجرام العالية . وفيه من مصنوعات الله مالايحصى نوعه ولا يعدجنسه . وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الأرض لاتسقط عليهاحتى يريد الله إحداث أمر فيها . وجعلته مغيضامن غاض الماء إذا نقص ، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام وهو مغيضها كما يغيض الماء فى البئر

لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى . وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَادًا[١] ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ . أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ[٢] وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ . الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً[٣] وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا

(مِنْهَا) وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ[٤] . فَلَمَّا

والكلام الآتى صريح فى أن الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف أى يختلف بعضها بعضاً فى الجو فهو مجال سيرها وميدان حركاتها. والسبط ـ بالكسر ـ الأمة (١) اعتماداً أى معتمدا أى ملجأ يعتصمون بها إذا طردتهم الغارات من السهول، وكما هى كذلك للانسان هى أيضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها (٢) الذمار ـ ككتاب ـ مايلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته . والغائر : من غار على امرأته أو قريبته أن يمسها أجنبي . والحقائق : وصف لا اسم، يريد النوازل الثابتة التي لا تندفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم ومن أهل الحفاظ بيان للمانع والغائر، والحفاظ: الوفاء ورعاية الذمم (٣) لا توارى: لا تحجب (٤) ضرب الوجه كناية عن الرد والمنع. وقرعته بالحجة من قرعه بالعصا ضرب به بها. وهب ، من هبيب التيس أى صياحه، أى كان يتكلم بالمهمل مع سرعة

قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ[١]، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا إِلَّا أَنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ[٢]

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ) فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا[٣] فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ[٤] وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا. فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا[٥]، وَطَائِفَةً غَدْرًا. فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ[٦] بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ

حل عليها الغضب كأنه مخبول لايدرى مايقول (١) أستعينك : أستنصرك وأطلب منك المعونة (٢) ثم قالوا الخ أى أنهم اعترفوا بفضله وأنه أجدرهم بالقيام به، ففى الحق أن يأخذه ثم لما اختار المقدم فى الشورى غيره عقدوا له الأمر وقالوا للامام فى الحق أن تتركه فتناقض حكمهم بالحقية فى القضيتين، ولايكون الحق فى الأخذ إلالمن توفرت فيه شروطه (٣) حبيس فعيل بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لايجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها فى حياته (٤) خزان جمع خازن (٥) القتل صبراً أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت (٦) معتمدين : قاصدين

إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهٰذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللّٰهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ(٢) فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذٰلِكَ سَبِيلٌ ، وَلٰكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ . أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّٰهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللّٰهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

---

(١) قوله دع ما أنهم أى يحل لى قتلهم بقتل مسلم واحد عمدا فدع من أعمالهم مازاد على ذلك وهو أنهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم فذلك مما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم، وما فى قوله ما أنهم مثلها فى قولهم يعجبنى لو أن فلاناً يتكلم، ومثلها فى قوله تعالى « انه لحق مثل ماأنكم تنطقون » فهى زائدة أو مساعدة على سبك الجلة بالمصدر (٢) الشغب : تهييج الفساد . واستعتب : طلب منه الرضاء بالحق

أَهْلِ الْقِبْلَةِ[١]، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ[٢] وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ. فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ. وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَرًا[٣]

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ. أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا. وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا. فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا. وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا. وَلَا يَخْنِنْ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا[٤]. وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ. أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ. أَخَذَ اللهُ

---

(١) أهل القبلة من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم و يصلى معنا إلى قبلة واحدة (٢) أى لا يحمل علم الحرب ورايتها لقتال أهل القبلة إلا أهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الامام ومن معه، أى ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله (٣) أى إذا اتفق أهل الحل والعقد من المسلمين على انكار شيء عدلنا إلى حكمهم وغيرنا حكمنا متى كان اتفاقهم لا يخالف نصا شرعيا. فالغير بكسر ففتح اسم للتغيير أو التغير (٤) الخنين-

بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ . وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ . وَاللهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ[1] إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ[2] ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ الْأَمْرَ[3] وَيَقَعَ الشَّكُّ. وَوَاللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا - كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ[4] أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ . وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ[5] ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ[6] . وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا[7] وَيَدَعَ

بالخاء المعجمة — ضرب من البكاء يردد به الصوت فى الأنف . وزوى : أى قبض

(١) متجرداً كأنه سيف تجرد من غمده (٢) أحرص عليه أى على دم عثمان بمعنى سفكه

(٣) يلبس رباعى من قولهم أمر ملبس أى مشتبه (٤) يوازر : ينصر ويعين. والمنابذة المراماة والمراد المعارضة والمدافعة (٥) نهنهه عن الأمر : كفه وزجره عن اتيانه

(٦) المعذرين فيه : المعتذرين عنه فيما نقم منه (٧) ويركد جانبا يسكن فى جانب

النَّاسَ مَعَهُ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَيُّهَا الْغَافِلُونَ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ، وَالتَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ[1]. مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ اللهِ ذَاهِبِينَ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ. كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ[2]. إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لاَ تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا[3]، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا. وَاللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ[4]، وَلٰكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. أَلاَ وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى الْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذٰلِكَ مِنْهُ[5].

عن القائلين والناصرين (١) التاركون الخ أى أن التاركين لما أمروا به المأخوذة منهم أعمارهم تطوىها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة. فالمأخوذ منهم صفة للتاركين (٢) النعم ـ محركة ـ الابل أو هى والغنم. وأراح بها ذهب بها. وأصل الاراحة الانطلاق فى الريح فاستعمله فى مطلق الانطلاق، والسائم: الراعى. والوبى: الردى يجلب الوباء. والدوى: الوبيل يفسد الصحة، أصله من الدوا بالقصر أى المرض. والمدى ـ جمع مدية ـ السكين أى معلوفة للذبح (٣) تحسب يومها دهرها أى لاتنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئا لما بعد يومها، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع. هذا كلام كأنه ثوب فصل على أقدار أهل هذا الزمان (٤) بمخرجه الخ أى من أين يخرج. وأين يلج أى يدخل (٥) مفضيه أصله من أفضى اليه خلا به و إلى الأرض مسها. والمراد انى موصله

وَالَّذِى بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً . وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَآلِ هٰذَا الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِى إِلَّا أَفْرَغَهُ فِى أُذُنِى وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّى وَاللّٰهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللّٰهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللّٰهِ ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللّٰهِ . فَإِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ(١) . وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ . وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا هٰذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هٰذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ « إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِى فِى كُرْهٍ(٢) . وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللّٰهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِى فِى شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللّٰهُ رَجُلاً نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ(٣) . وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هٰذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ

إلى أهل اليقين ممن لاتخشى عليهم الفتنة (١) أعذر اليكم بالجلية أى بالأعذار الجلية . والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب فى المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الالهية (٢) أى لاشىء من طاعة الله إلاوفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه ، ولاشىء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيوانى فتشتهى النفوس اتيانه (٣) نزع عنه : انتهى وأقلع ،

مَنْزِعًا . وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى . وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ[١] ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَٱلْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا تَقْوِيضَ ٱلرَّاحِلِ[٢] وَطَوَوْهَا طَيَّ ٱلْمَنَازِلِ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ هُوَ ٱلنَّاصِحُ ٱلَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَٱلْهَادِي ٱلَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَٱلْمُحَدِّثُ ٱلَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[٣] ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ ٱلْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَٱسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَٱسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ[٤] ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ ٱلدَّاءِ وَهُوَ ٱلْكُفْرُ وَٱلنِّفَاقُ وَٱلْغَيُّ وَٱلضَّلَالُ . فَٱسْأَلُوا ٱللهَ بِهِ[٥] ،

فان عدي بالى كان بمعنى اشتاق ، وأبعد منزعا أي نزوعا بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصي (١) ظنون ـ كصبور ـ الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد أن المؤمن يظن في نفسه النقص والتقصير في الطاعة أو هو من البئر الظنون التي لا يدرى أفيها ماء أم لا فتكون هنا بمعنى متهمة فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بأنها أدت حق مافرض عليها . وزاريا عليها : أي عائبا . ومستزيداً طالباً لها الزيادة من طيبات الأعمال (٢) التقويض نزع أعمدة الخيمة وأطنابها والمراد أنهم ذهبوا بما كنهم وطووا مدة الحياة كما يطوى المسافر منازل سفره أي مراحله ومسافاته (٣) أي فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة (٤) اللأواء : الشدة (٥) فاطلبوا من الله ماتحبون من سعادة الدنيا والآخرة

وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ . وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ[1] ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ» فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[2] ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ . الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ . وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ . إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ . وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ[3] . وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَاخْرُجُوا إِلَى اللهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ[4] ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ

باتباعه وأقبلوا على الله بالرغبة فى اقتفاء هديه وهو المراد من حبه ، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله (١) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل. ومحل به مثلث الحاء كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله (٢) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم أى ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن (٣) العلم محركا يريد به القرآن (٤) خرج إلى فلان من حقه أداه فكأنه كان حبيساً فى مؤاخذته فانطلق ، الآن من حقه فى العبارة بيان لما افترض ومعمول اخرجوا مقدر مثله . والوظائف ماقدر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات

وَحَجِيجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ (١)

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ (٢) . وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللّٰهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللّٰهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللّٰهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللّٰهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا (٣) . وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا . وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ (٤) . فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللّٰهِ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي

والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة (١) حجيج ـ من حج ـ إذا أقنع بحجته. والامام كرم الله وجهه بعلو منزلته من الله يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة عن المخاصين:

(٢) تورد: هو تفعل كتنزل، أي ورد شيئا بعد شيء. والمراد من القضاء الماضي ماقدر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وماتبعها من الحوادث . وعدة الله بكسر ففتح مخفف هي وعده، أي لاتخرجوا منها (٣) تهزيع الشيء : تكسيره، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه ، فهو نهى عن حطم الكمال بمعول النقص. وتصريف الأخلاق من صرفته إذا قلبته، نهى عن النفاق والتلون في الأخلاق وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً (٤) ليخزن ـ كينصر ـ أي ليحفظ لسانه . والجموح : من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به في مهلكة فيرديه

تَقْوَى تَنفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ ٱلْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ(١) .
وَإِنَّ قَلْبَ ٱلْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . لِأَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ .
وَإِنَّ ٱلْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِى مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ .
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى
يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى ٱللهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ،
سَلِيمُ ٱللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ . وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ
ٱلْعَامَ مَا ٱسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ ٱلْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ . وَإِنَّمَا أَحْدَثَ
ٱلنَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ(٢) ، وَلَٰكِنَّ ٱلْحَلَالَ مَا أَحَلَّ
ٱللهُ وَٱلْحَرَامَ مَا حَرَّمَ ٱللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ ٱلْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا(٣) ،
وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ ٱلْأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى
ٱلْأَمْرِ ٱلْوَاضِحِ . فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَٰلِكَ إِلَّا أَعْمَى
وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ ٱللهُ بِٱلْبَلَاءِ وَٱلتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ ٱلْعِظَةِ .

---

(١) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا مايعتقد ، والمنافق يقول ماينال به غايته الخبيثة، فاذا قال شيئا أخطره على قلبه حتى لاينساه فيناقضه مرة أخرى فيكون قلبه تابعا للسانه (٢) البدع التى أحدثها الناس لاتغير شيئا من حكم الله (٣) ضرسته الحرب :

وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[١] حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ .
وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ رَجُلَانِ : مُتَّبِعٌ شِرْعَةً ، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَاضِيَاءُ حُجَّةٍ . وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ ٱلْمَتِينُ وَسَبَبُهُ ٱلْأَمِينُ ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ وَٱلْمُتَنَاسُونَ . فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ:
« يَاٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ[٢] »

أَلَا وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ : فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ . فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: « إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ[٣] . وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا . ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ ، لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى[٤] وَلَا

جربته أى جربتموها (١) الاتيان من الأمام كناية عن الظهور ، كأن التقصير عدو قوى يأتى مجاهرة لايخدع ولايفر فيأخذه أخذ العزيز المقتدر ، عندذلك يعرف من الحق ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف (٢) مستقيم أو قريب من الله والسعادة (٣) بفتح الهاء جمع هنة محركة: الشيء اليسير والعمل الحقير . والمراد به صغائر الذنوب (٤) جمع

ضَرْباً بِالسِّيَاطِ ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ[١] . فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللّٰهِ ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ[٢] . وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ ، وَأَكَلَ قُوتَهُ ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ[٣] ، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى الْحَكَمَيْنِ

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ

مدية : وهي السكين . والسياط جمع سوط (١) ولكنه العذاب الذي يعد الجرح والضرب صغيراً بالنسبة اليه (٢) من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع وان ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما يكلفه به من الحق فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة و إن نال بذلك حقا باطلا وشهوة وقتية، فقد يكون في حظه الوقتي شقاؤه الأبدي . ومتى كانت الفرقة عم الشقاق وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد عرضة لشرور سواه، فمحيت الراحة وفسدت حال المعيشة (٣) قوله لمن لزم بيته: ترغيب في العزلة عن اثارة الفتن واجتناب الفساد، وليس ترغيبا في الكسالة وترك العامة وشأنهم، فقد حث أمير المؤمنين في غير هذا الموضع على مقاومة المفاسد والأمر بالمعروف

يُجَعْجِعَا عِنْدَ الْقُرْآنِ(١)، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ. فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ. وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا، وَالِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا. وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَالْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا(٢) وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا، وَالثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا(٣) حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ الْحَقِّ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ الْحُكْمِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ. وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ. وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ. وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ الْمَاءِ(٤)، وَلَا نُجُومِ السَّمَاءِ، وَلَا سَوَافِي الرِّيحِ فِي الْهَوَاءِ، وَلَا دَبِيبُ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا، وَلَا مَقِيلُ الذَّرِّ

والنهى عن المنكر (١) يجعجعا: من جعجع البعير إذا برك ولزم الجعجاع أى الأرض. أى أن يقيما عند القرآن. والتبع ـ محركا ـ التابع للواحد والجمع. وتاها أى ضلا (٢) سوء مفعول سبق، أى أن استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا لا تحكموا الا بالعدل كان سابقا على سوء الرأى وجور الحكم فهما المخالفان لما شرط عليهما لا نحن. ويصح أن يكون مفعول استثناؤنا، والمعنى أننا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئا رأيا ولا يجورا حكما، فيقبل حكمهما الا أن يجورا ويسيئا (٣) عبر بالثقة عن الحجة القوية والسبب المتين فى رفض حكمهما (٤) لا يعزب: لا يخفى. وسوافى الريح جمع سافية من سفت الريح التراب والورق أى حملته. والصفا مقصوراً ـ جمع صفاة ـ الحجر الأملس الضخم. ودبيب النمل أى حركته عليه فى غاية الخفاء لا يسمع لها حس. والذر: صغار

فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ(١) . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ(٢) ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ(٣) . شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ(٤) ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ(٥) وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ . وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ . وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى(٦) . وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا(٧)، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَأَيْمُ اللَّهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا(٨) ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ

النمل . ومقيلها محل استراحتها ومبيتها (١) طرف الحدقة: تحريك جفنيها. والحدقة هنا العين (٢) عدل بالله : جعل له مثلا وعديلا (٣) خلقه للخلق جميعا (٤) دخلته بالكسر : باطنه (٥) المجتبى : المصطفى . والعيمة ـ بكسر العين ـ المختار من المال . واعتام : أخذها فالمعتام المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه . والعقائل الكرائم والكرامات ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل فى النفوس عاليات (٦) أشراط الهدى علاماته ودلائله. وغربيب الشيء ـ كعفريت ـ أشدد سواداً فغربيب العمى أشد الضلال ظلمة (٧) المخلد: الراكن المائل ونفس ـ كفرح ـ ضن، أى لا تضن الدنيا بمن يبارى غيره فى اقتنائها وعدها من نفائسه ولا تحرص عليه بل تهلكه (٨) الغض الناضر. واجترح الذنب

فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ. وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ[1]. وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ. وَمَا عَلَيَّ إِلَّا الْجُهْدُ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ. عَفَا اللّٰهُ عَمَّا سَلَفَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلَبٌ الْيَمَانِيُّ، فَقَالَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى؟ فَقَالَ: وَكَيْفَ تَرَاهُ؟ فَقَالَ:

لَا تَرَاهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلٰكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ. قَرِيبٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ[2]. بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ. مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ. صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ. لَطِيفٌ

اكتسبه وارتكبه (١) كنى بالفترة عن جهالة الغرور، أو أراد فى فترة من عذاب ينتظر بكم عقابا على انحطاط هممكم وتباطئكم عن جهاد عدوكم (٢) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكانى من خواص المواد. وذات الله مبرأة من المادة وخواصها. فنسبة الأشياء اليها سواء وهى فى تعاليها، فهى مع كل شىء وهى أعلى من كل شىء، فالبعد بعد المكانة من التنزيه. والروية التفكر. والهمة الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصا وأوجب

لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ . كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ[١] بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ . رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ[٢] ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ)

أَحْمَدُ اللهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ[٣] ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ . وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ[٤] . مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ . الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ . فَوَاللهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[٥] ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلَّهِ أَنْتُمْ . أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حَمِيَّةٌ

هماوحزنا. والجارحة العضو البدنى (١) الجفاء: الغلظ والخشونة (٢) تعنو: تذل. ووجب القلب يجب وجيبا ووجبانا: خفق واضطرب (٣) أى فى الكلام الباطل. وخرتم أى ضعفتم وجبنتم. والمشاقة المراد بها الحرب ونكصتم رجعتم القهقرى (٤) المعروف فى التقريع لا أبالكم، ولا أبالك. وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم (٥) قال أى كاره. وغير كثير بكم، أى انى أفارق الدنيا وأنا فى قلة من الأعوان

تَشْحَذُكُمْ[١] ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو الْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ[٢]
عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ ـ وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ الْإِسْلَامِ[٣]
وَبَقِيَّةُ النَّاسِ ـ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ الْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ
عَلَيَّ . إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ[٤] ، وَلَا سُخْطٌ
فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ الْمَوْتُ . قَدْ دَارَسْتُكُمُ
الْكِتَابَ[٥] ، وَفَاتَحْتُكُمُ الْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ،
وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ . لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحَظُ[٦] ، أَوِ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ .
وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ابْنُ النَّابِغَةِ[٧]

وان كنتم حولى كثيرين ويدل عليه قوله فيما بعد لله أنتم (١) من شحذ السكين كمنع أى حددها (٢) الجفاة ـ جمع جاف ـ أى غليظ . والطغام بالفتح أرذال الناس. والمعونة : مايعطى للجند لاصلاح السلاح وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض والأرزاق المعينة لكل منهم (٣) التريكة ـ كسفينة ـ بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها فى مجثمها والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف (٤) يريد أنه لايوافقكم منى شىء لامايرضى ولامايسخط (٥) أى قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً . وفاتحتكم ، بجردة فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أى حاكمتكم . والحجاج : المحاجة أى قاضيتكم عند الحجة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام وعرفتكم الحق الذى كنتم تجهلونه وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه (٦) لو للتمنى كأنه يقول ليت الأعمى الخ (٧) أقرب بهم : ما أقربهم من الجهل : وابن النابغة عمرو بن العاص

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ : « أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا ؟ »(١) . فَقَالَ الرَّجُلُ : بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ . أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ(٢) ، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ . لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ . إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ(٣) ، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ . فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى(٤) ، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى ، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ(٥)

---

(١) أمنوا : اطمأنوا. وقطنوا أقاموا، وظعنوا رحلوا (٢) أشرعت : سددت وصوبت نحوهم. والهامات الرءوس (٣) استفلهم : دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة (٤) حسبهم : كافيهم من الشر خروجهم الخ . والباء زائدة وان جعل حسب اسم فعل بمعنى اكتف كانت الباء فى موضعها أى فليكتفوا من الشر والخطيئة بذلك فهو كفيل لهم بكل شقاء . والارتكاس : الانقلاب والانتكاس (٥) صدهم : اعراضهم. والجماح : الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه. والمراد تعاصيهم فى التيه أى الضلال

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكَالِيِّ[١] قَالَ خَطَبَنَا هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ بِالْكُوفَةِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ٱلْمَخْزُومِيُّ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ[٢] وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ، وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ[٣]. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ ٱلْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ ٱلْأَمْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَامْتِنَانِهِ[٤]، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّبًا وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ ٱسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ

---

(١) هو نوف بن فضالة التابعي البكالي نسبة إلى بني بكال – ككتاب – بطن من حمير ضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد. وجعدة بن هبيرة هو ابن أخت أمير المؤمنين وأمه أم هانىء بنت أبي طالب كان فارساً مقداماً فقيها (٢) المدرعة: ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية قميص ضيق الأكمام، قال في القاموس ولا يكون إلا من صوف (٣) الثفنة – بكسر بعد فتح – ما يمس الأرض من البعير عند البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، وكذلك كان في جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود (٤) النوامي جمع نام بمعنى زائد

لَهُ بِالطَّوْلِ(١) ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِناً ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِناً ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِناً(٢) ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِباً مُجْتَهِدًا . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا(٣) . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ(٤) بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمٰوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ(٥) ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ(٦) . وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعاً لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَناً لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ(٧) . وَلَا اسْتَطَاعَتْ

---

(١) الطول ـ بالفتح ـ الفضل (٢) خنع : ذل وخضع (٣) لأن أباه يكون شريكه فى العز بل أعز منه لأنه علة وجوده. وسر الولادة حفظ النوع فلو صح لله أن يلد لكان فانيا يبقى نوعه فى أشخاص أولاده فيكون موروثا هالكا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (٤) يتعاوره : يتداوله ويتبادل عليه (٥) موطدات : مثبتات فى مداراتها على ثقل أجرامها (٦) التلكؤ : التوقف والتباطؤ (٧) ادلهمام الظلمة : كثافتها وشدتها . والسجف ـ بالكسر والفتح ـ وككتاب الستر. والجلابيب ـ جمع جلباب ـ ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر.

جَلَابِيبُ سَوَادِ ٱلْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي ٱلسَّمَوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ ٱلْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ [١] فِي بِقَاعِ ٱلْأَرَضِينَ ٱلْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ ٱلسُّفْعِ ٱلْمُتَجَاوِرَاتِ . وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ ٱلرَّعْدُ فِي أُفُقِ ٱلسَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ ٱلْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ ٱلْأَنْوَاءِ وَٱنْهِطَالُ ٱلسَّمَاءِ [٢] وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ ٱلْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ ٱلذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي ٱلْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ ٱلْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا . ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ . وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ . وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ [٣]

والحنادس: جمع حندس ـ بكسر الحاء ـ الليل المظلم (١) الساجى : الساكن . ووصف الليل بالسكون وصف له بصفة المشمولين به فان الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها بالنهار . والمتطأطئات : المنخفضات . واليفاع : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسفع ـ جمع سفعاء ـ السوداء يضرب الى الحمرة ، والمراد منها الجبال عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد. وما يجلجل به الرعد: صوته . والجلجلة: صوت الرعد . وتلاشت: اضمحلت وأصله من لشئ بمعنى خس بعد رفعة. وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التى ترى عند لمعانه . والعواصف : الرياح الشديدة واضافتها للانواء من اضافة الشىء لمصاحبه عادة . والأنواء ـ جمع نوء ـ أحد منازل القمر يعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق فى كل ثلاث عشرة ليلة منزلة و يظهر عليه أخرى. والمغيب والظهور عند طلوع الفجر وكانوا ينسبون المطر لهذه الأنواء فيقولون مطرنا بنوء كذا لمصادفة هبوب الرياح وهطول الأمطار فى أوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام وأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب فى الحوادث الأرضية تأثيرا روحانيا (٢) السماء هنا : المطر (٣) النائل:

وَلاَ يُبْصِرُ بِعَيْنٍ . وَلاَ يُحَدُّ بِأَيْنٍ . وَلاَ يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلاَ يُخْلَقُ بِعِلاَجٍ . وَلاَ يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ . وَلاَ يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا . بِلاَ جَوَارِحَ وَلاَ أَدَوَاتٍ ، وَلاَ نُطْقٍ وَلاَ لَهَوَاتٍ (١) . بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ (٢) فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ (٣) ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلاَمٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ (٤) وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّمًا ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ

العطاء . والاين : المكان . والأزواج : القرناء والأمثال ، أى لايقال ذو قرناء ولا هو قرين لشيء . والعلاج لايكون إلا بين شيئين أحدهما يقاوم الآخر فيتغلب الآخر عليه ، والله لايعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون (١) اللهوات ــ جمع لهاة ــ اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم (٢) المتكلف : هو شديد التعرض لما لايعنيه ، أى ان كنت أيها المتعرض لما لا يعنيك من وصف ربك صادقا فى دعوى القدرة على وصفه فصف أحد مخلوقاته فاذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشد عجزاً (٣) الحجرات : جمع حجرة ــ بضم الحاء ــ الغرفة . والمرجحن ــ كالمقشعر ــ المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالا كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته . ومتولهة : أى حائرة أو متخوفة (٤) الرياش : اللباس الفاخر

سَبِيلًا، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ. فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ(١)، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ. وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ، وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً. أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ. أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ. أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ. وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ(٢). وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا الْأُلُوفَ. وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ

---

(١) الطعمة ـ بالضم ـ المأكلة أي مايؤكل. والمراد رزقه المقسوم (٢) سئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضى عن آبائه إلى جده الحسين فقال . انهم كانوا يسكنون في مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس في بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنو برمغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنوبرة شاه درخت وعدة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة اسم الأولى أبان ، والثانية آذر ، والثالثة دى ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز ، والسادسة فرودين ، والسابعة اردى بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشرة تير ، والحادية عشرة مهر ، والثانية عشرة شهر يور ، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل حيث أقاموا في العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة في قعرها وألقوا نبيهم فيها حياً واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات فعاقبهم الله بارسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متقدة فذابت

(مِنْهَا) قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا[١]. وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا . وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا ، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا . فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ[٢]، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ . بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ[٣]، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ (ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) :

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ . وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ . وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا. وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا[٤]. لِلّٰهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا ، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللّٰهِ الْأَخْيَارُ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا

أجسادهم وهلكوا وانقلبت مدائنهم (١) جنة الحكمة : ما يحفظها على صاحبها من الزهد والورع. والكلام فى العارف مطلقا (٢) هو مع الاسلام فاذا صار الاسلام غريباً اغترب معه لايضل عنه . وعسيب الذنب : أصله . والضمير فى ضرب للاسلام . وهذا كناية عن التعب والاعياء، يريد ضعف . والجران ـ ككتاب ـ مقدم عنق البعير من المذبح إلى المنحر ، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه. والصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف كسابقه (٣) بقية: تابع لمغترب: وضمير حجته وأنبيائه لله المعلوم من الكلام (٤) استوسقت الابل : اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض

لَا يَبْقَى. بِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا ٱلَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا ٱلْيَوْمَ أَحْيَاءً ؟ يُسِيغُونَ ٱلْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ ٱلرَّنِقَ[1] . قَدْ وَٱللهِ لَقُوا ٱللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ ٱلْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ . أَيْنَ إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ رَكِبُوا ٱلطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى ٱلْحَقِّ ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ[2] ؟ وَأَيْنَ ٱبْنُ ٱلتَّيِّهَانِ ؟ وَأَيْنَ ذُو ٱلشَّهَادَتَيْنِ ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ ٱلَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ ، وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى ٱلْفَجَرَةِ . (قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ ٱلْبُكَاءَ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) :

أَوْهِ عَلَى إِخْوَانِي ٱلَّذِينَ تَلَوُا ٱلْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ[3] ، وَتَدَبَّرُوا ٱلْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ ، أَحْيَوُا ٱلسُّنَّةَ وَأَمَاتُوا ٱلْبِدْعَةَ . دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا ، وَوَثِقُوا بِٱلْقَائِدِ فَٱتَّبَعُوهُ (ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ) : ٱلْجِهَادَ ٱلْجِهَادَ عِبَادَ ٱللهِ . أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا فَمَنْ أَرَادَ ٱلرَّوَاحَ إِلَى ٱللهِ فَلْيَخْرُجْ

---

(١) الرنق ـ بكسر النون وفتحها وسكونها ـ الكدر (٢) عمار بن ياسر من السابقين الأولين. وأبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد الياء وكسرها من أكابر الصحابة. وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت قبل النبي شهادته بشهادة رجلين فى قصة مشهورة كلهم قتلوا فى صفين. وأبرد برءوسهم أى أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفى منهم رضى الله عنهم (٣) أوه بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء ـ كلمة توجع

قَالَ نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَلِقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا تَخْتَطِفُهَا الذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ[١] . خَلَقَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا[٢] ، وَحَلَالِهَا وَحَرَامِهَا . وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ

---

(١) المنصبة — كمصطبة — التعب (٢) هجم عليه — كنصر — دخل غفلة . والمعتبر مصدر ميمى الاعتبار والاتعاظ بمعنى . والتصرف : التبدل . والمصاح — جمع مصحة بكسر الصاد وفتحها — بمعنى الصحة والعافية ، كأن الناس فى غفلة عن سر تعاقب الصحة والمرض على بدن الانسان حتى نبهتهم رسل الله إلى أن هذا ابتلاء منه سبحانه ليعرف الانسان عجزه وأن أمره بيد خالقه

وَالْعُصَاةِ مِنْ جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ [١] جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

(مِنْهَا) فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ اللّٰهِ عَلَى خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ . وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ [٢] . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ . فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ . وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ . فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ . وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى

---

(١) أى كما طلب من خلقه أن يحمدوه (٢) حبس نفوسهم فى ضنك المؤاخذة حتى يؤدوا حق القرآن من العمل به فان لم يفعلوا لم يخلصوا بل يهلكوا

وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ[١] وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ. وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ. قَدْ وَكَّلَ بِذَلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ. فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ. ظِلُّهَا عَرْشُهُ. وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ. وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ. وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ. وَسَابِقُوا الْآجَالَ. فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ[٢]، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[٣]. وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ،

---

(١) يقال فلان بعين فلان إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء (٢) أي يغشاهم بالمنية (٣) أي أنكم في حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهي الحالة التي ندم المهملون على فواتها وسألوا الرجعة إليها كما حكى الله عنهم إذ يقول الواحد منهم «رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت»

وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءِ تُحْرِقُهُ ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ . أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِغَضَبِهِ[1]، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ[2] الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ ! وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ[3] حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ. وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ . فَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا[4]. أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ « إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » وَقَالَ تَعَالَى « مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ » فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ

(١) مالك هو الموكل بالجحيم (٢) اليفن — بالتحريك — الشيخ المسن . ولهزه : أى خالطه . والقتير : الشيب (٣) نشبت — كفرحت — علقت. والجوامع — جمع جامعة — الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق (٤) غلق الرهن — كفرح — استحقه صاحب الحق

جُنُودُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ . وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ . أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ[١] أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللهِ فِي دَارِهِ . رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا[٢] ، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا[٣] « ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ » أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَٱللهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَالَهُ لِلْبُرْجِ بْنِ مُسْهِرٍ ٱلطَّائِيِّ[٤] ، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ :

لَا حُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ ، وَكَانَ مِنَ ٱلْخَوَارِجِ

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ ٱللهُ يَا أَثْرَمُ[٥] ، فَوَٱللهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخْصُكَ ، خَفِيًّا صَوْتُكَ ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ

وذلك إذا لم يمكن فكاكه فى الوقت المشروط (١) يختبركم (٢) الحسيس : الصوت الخفى (٣) لغب ـ كسمع ومنع وكرم ـ لغبا ولغوبا أعيى أشد الأعياء . والنصب : التعب أيضاً (٤) أحد شعراء الخوارج (٥) الثرم : محركا سقوط الثنية من الأسنان . والضئيل : النحيف المهزول، كناية عن الضعف . ونعر : أى صاح . ونجمت : ظهرت

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ[1] ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ[2] . وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا[3] لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ

وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز فى الظهور على غير شور (١) الأمد : الغاية (٢) المشاعرة : انفعال احدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شيء منه عليها . والمرائى ـ جمع مرآة بالفتح ـ وهى المنظر أى تشهد له مناظر الأشياء لابحضوره فيها شاخصاً للأبصار (٣) أى أنه بعد ماتجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه

تَنَاهَتْ بِهِ ٱلْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا . بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ، وَعَظُمَ سُلْطَانًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ(١) ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا . وَأَقَامَ أَعْلَامَ ٱلِاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أَمْرَاسَ ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً(٢) وَعُرَى ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً

(مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ) : وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ وَلٰكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ . أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ(٣) . ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا(٤) ،

---

(١) أى ليلزم العباد بالحجج البينة على مادعاهم اليه من الحق . والفلج : الظفر وظهوره : علو كلمة الدين (٢) الأمراس جمع مرس بالتحريك وهو جمع مرسة بالتحريك وهو الحبل (٣) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد الانسانى (٤) الصدر ـ محركا ـ الرجوع بعد

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا . لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ(١) وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا(٢) وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً . فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ(٣) ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ ، وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ الْقِلَالِ(٤) وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ

الورود . وقوله بوفقها بكسر الواو أى بما يوافقها من الرزق و يلائم طبعها (١) الجامس الجامد (٢) الشراسيف : مقاط الاضلاع وهى أطرافها التى تشرف على البطن (٣) أى أن دقة التفصيل فى النملة على صغرها والنخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد (٤) القلال – جمع قلة بالضم – وهى رأس الجبل

جَحَدَ ٱلْمُقَدِّرَ وَأَنْكَرَ ٱلْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا الَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا[1] ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي ٱلْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ . وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ[2] . وَجَعَلَ لَهَا ٱلسَّمْعَ ٱلْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا ٱلْفَمَ ٱلسَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا ٱلْحِسَّ ٱلْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ[3] يَرْهَبُهَا ٱلزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا[4] . وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ ٱلْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا[5] ، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً

فَتَبَارَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيَعْنُو لَهُ خَدًّا وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ ٱلْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ . أَحْصَى عَدَدَ ٱلرِّيشِ مِنْهَا وَٱلنَّفَسِ ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى ٱلنَّدَى وَٱلْيَبَسِ[6] . وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَى

---

(١) لم يلجأوا: لم يستندوا. وأوعاه ـ كوعاه ـ بمعنى حفظه (٢) أى مضيئتين كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر (٣) المنجل ـ كمنبر ـ آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع. قالوا أراد بهما هنا رجليها لاعوجاجهما وخشونتهما (٤) دفعها (٥) وثباتها، نزا عليه: وثب (٦) المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء، كأنه يريد أن

أَجْنَاسِهَا . فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ . وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا[1] وَعَدَّدَ قِسَمَهَا ، فَبَلَّ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُدُوبِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ٱلتَّوْحِيدِ

وتجمع هذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ . وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ . وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ[2] . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ[3] . وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ . مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ . غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ ٱلْأَوْقَاتُ ، وَلَا

الله جعل من الطير ماتثبت أرجله فى المـاء . ومنه مالا يمشى الا فى الأرض اليابسة

(١) الهطل ـ بالفتح ـ تتابع المطر والدمع . والديم ـ كالهمم ـ جمع ديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. وتعديد القسم احصاء ما قدر منها لكل بقعة. وجدوب الأرض : يبسها لاحتجاب المطر عنها (٢) صمده : قصده (٣) أى كل معروف الذات بالكنه مصنوع لأن معرفة الكنه انما تكون بمعرفة اجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب والمركب مفتقر فى الوجود لغيره فهو مصنوع

تَرْفِدُهُ ٱلْأَدَوَاتُ(١) سَبَقَ ٱلْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ . وَٱلْعَدَمَ وُجُودُهُ وَٱلِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ ٱلْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ(٢) . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ ٱلْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ . وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ ٱلْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ . ضَادَّ ٱلنُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَٱلْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ وَٱلْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَٱلْحَرُورَ بِالصَّرَدِ(٣) . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا(٤) . مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا(٥) لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ ٱلْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ ٱلْآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا مُنْذُ ٱلْقِدَمِيَّةَ ، وَحَمَتْهَا قَدُ ٱلْأَزَلِيَّةَ . وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا ٱلتَّكْمِلَةَ(٦) .

---

(١) ترفده ـ كتنصره ـ أى تعينه (٢) المشعر ـ كمقعد ـ محل الشعور أى الاحساس فهو الحاسة . وتشعيرها: إعدادها للانفعال المخصوص الذى يعرض لها من المواد وهو مايسمى بالاحساس ، فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائما ولو كان لله مشعر لكان منفعلا ، والمنفعل لا يكون فاعلا، وقد قلنا انه هو الفاعل بتشعير المشاعر.وهذا بمنزلة أن يقال ان الله فاعل فى خلقه فلا يكون منفعلا عنهم كما يأتى التصريح به.و إنما خص باب الشعور بالذكر رداً على من زعم أن لله مشاعر .وعقده التضاد بين الأشياء دليل على استواء نسبتها اليه فلا ضد له إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئا لاختص ايجاده بما يلائمها الاما يضادها فلم تكن أضداد ، والمقارنة بين الأشياء فى نظام الخلقة دليل أن صانعها واحد إذ لو كان له، شريك لخالفه فى النظام الايجادى فلم تكن مقارنة. والمقارنة هنا : المشابهة (٣) الصرد ـ محركا ـ البرد أصلها فارسية (٤) متعادياتها كالعناصر (٥) كالجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفى المزاج (٦) منذ ، وقد ، ولولا ، فواعل للافعال قبلها . ومنذ لابتداء الزمان ، وقد لتقريبه ولا يكون الابتداء والتقريب

بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ . وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ . إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ[1] ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ . وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ . وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ[2] الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ[3] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً[4] ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً[5] .

إلا في الزمان المتناهي . وكل مخلوق يقال فيه قد وجد ووجد منذ كذا، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال فيه لولا خالقه ما وجد فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره، والأدوات أي آلات الادراك التي هي حادثة ناقصة كيف يمكن لها أن تحد الأزلي المتعالي عن النهاية في الكمال . وقوله بها أي بتلك الأدوات أي بواسطة ما أدركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها أي بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن ادراك العيون التي هي نوع من تلك الأدوات (١) أي لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته، فان الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم، ولصار حادثاً فان الجسم بتركبه مفتقر لغيره (٢) وخرج عطف على قوله لا يجري عليه السكون. وسلطان الامتناع هو سلطان العزة الأزلية (٣) من أفل النجم إذا غاب (٤) المراد بالمولود المتولد عن غيره سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر ومن ولد له كان متولدا باحدى الطريقتين (٥) تكون بداية وجوده

جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ . وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ[1] ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ . وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ . وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ[2] ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ[3] ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[4] ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ[5] ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ . لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ[6]

يوم ولادته (١) أي لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا (٢) تقله : أي ترفعه . وتهويه: أي تحطه وتسقطه (٣) أي داخل (٤) جمع لهاة اللحمة في سقف أقصى الفم (٥) أي لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » (٦) كلامه أي الألفاظ والحروف التي يطلق عليها كلام الله باعتبار مادلت عليه وهي حادثة عند عموم الفرق ماخلا جماعة من الحنابلة . أو المراد بالكلام هنا ما أريد في قوله تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد » الآية، وهو على ماقال بعض المفسرين أعيان الموجودات

أَنْشَأَهُ . وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً .

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ[١] ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ . وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ . وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ . وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ . وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ[٢] . وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ[٣] . أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا[٤] . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ[٥] ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ،

---

(١) ولا يكون عطف على تجرى (٢) عطف تفسير على الاود (٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة . والانفراج : الانشقاق (٤) الأوتاد : جمع وتد . والاسداد : جمع سد والمراد بها الجبال . وخد أى شق (٥) يهن – من الوهن – بمعنى الضعف

لَا تَسْتَطِيعُ ٱلْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْوَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ. هُوَ ٱلْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ ٱلدُّنْيَا بَعْدَ ٱبْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَٱخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ لَوِ ٱجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا[1]، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا[2]، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا. وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً[3] عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةً بِٱلْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا. مُذْعِنَةً بِٱلضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ ٱلدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبْلَ ٱبْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا. بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ ٱلْآجَالُ وَٱلْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ ٱلسُّنُونَ

---

(١) مراحها ـ بضم الميم ـ اسم مفعول من أراح الابل ردها إلى المراح بالضم أى المأوى. والسائم: الراعى يريد ما كان فى مأواه وما كان فى مرعاه (٢) الأسناخ: الأصول. والمراد منها الأنواع أى الأصناف الداخلة فى أنواعها. والمتبلدة أى الغبية. والأكياس: جمع كيس ـ بالتشديد ـ العاقل الحاذق (٣) الخاسىء: الذليل. والحسير: الكال المعيي

وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إلا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءِ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الِامْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ[1] ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ . وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ[2] ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ . وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ . وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ . وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ . وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ

---

(١) لم يتكاءده : لم يشق عليه . ولم يؤده: لم يثقله . و برأه مرادف لخلقه (٢) الند ـ بالكسر ـ المثل. والمكاثرة : المغالبة بالكثرة يقال كاثره فكثره أى غلبه. والمثاور

إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ . وَلَا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ[1] ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَانْقِطَاعِ وُصَلِكُمْ ، وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ[2] . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطِي[3] . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ النِّعْمَةِ وَالنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ[4] . ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ الْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ الْقَتَبُ غَارِبَ الْبَعِيرِ[5] . مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ

---

(١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل فى الأرض فجهلهم أهلها وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها (٢) لفساد المكاسب واختلاط الحرام بالحلال (٣) أى حيث يكون الخير فى الفقراء ويعم الشر جميع الأغنياء فيعطى الغنى سرفا وتبذيرا ، وينفق الفقير ما يأخذ من مال الغنى فى وجهه الشرعى (٤) الاحراج : التضييق (٥) القتب : محركا ـ الأكاف . والغارب : ما بين العنق والسنام

أيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ(١) ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ(٢) . وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا(٣) ، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا . فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ ٱلسِّرَاجِ فِي ٱلظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَاسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ بِتَقْوَى ٱللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ(٤) . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ : أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ(٥) ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ

---

(١) الأزمة ـ كأئمة ـ جمع زمام . والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها . والكلام تجوز عن ترك الآراء الفاسدة التي يقاد بها قوم يحملون أثقالا من الأوزار . ولا تصدعوا أي لا تفرقوا ولا تختلفوا على امامكم فتقبح عاقبتكم فتذموها (٢) فور النار : ارتفاع لهبها ، أي لا ترموا بأنفسكم في الفتنة التي تقبلون عليها (٣) أميطوا أي تنحوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها وخلوا لها سبيلها التي استقامت عليها (٤) البلاء : الاحسان (٥) أعورتم له أي ظهرت له عوراتكم وعيوبكم . ولأخذه ، أي أن يأخذكم

فَأَمْهَلَكُمْ . وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ[1] ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ . فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ[2] ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ[3] ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ . وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا . لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا . أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا . وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمْرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتًا مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ

بالعقاب (١) أغفله : سها عنه وتركه (٢) إنما يقال ركب ونزل حقيقة لمن فعل بارادته (٣) أوطن المكان : اتخذه وطناً . وأوحشه : هجره حتى لا أنيس منه به. وقوله واشتغلوا

عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ[١] . فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ[٢] ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ . وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا ٱلْأَوَّلِ[٣] . مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ ٱلْإِمَّةِ وَمُعْلَنِهَا[٤] . لَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ . فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ . وَلَا يَقَعُ ٱسْمُ ٱلِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللّٰهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ[٥]

أى وكانوا اشتغلوا بالدنيا التى فارقوها وأضاعوا العاقبة التى انتقلوا اليها (١) عوارى الخ . كناية عن كونه زعماً بغير فهم (٢) إذا ارتبتم فى أحد وأردتم البراءة فلا تسارعوا لذلك وانتظروا به الموت عسى أن تدركه التوبة (٣) أى لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضى الاسلام ديناوهو المراد بمعرفة الحجة الآتى فى الكلام. فلا يجوز لمسلم أن يقيم فى بلاد حرب على المسلمين ولا أن يقبل سلطان غير المسلم بل تجب عليه الهجرة إلا إذا تعذر عليه ذلك لمرض أو عدم نفقة فيكون من المستضعفين المعفو عنهم . وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح » محمول على الهجرة من مكة (٤) استسر الأمر : كتمه . والامة ـ بكسر الهمزة ـ الحالة ، و بضمها الطاعة. أى أن الهجرة فرضت على المكلفين لمصلحتهم والا فالله لاحاجة به إلى مضمر إيمانه فى بلاد الكفر ، ولا [illegible] فى ديار الاسلام (٥) أحلام: عقول

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا[1]، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ ٱلْجُنْدِ عَظِيمُ ٱلْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ . لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ . فَٱعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ[2]. وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ . وَٱمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ. فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ . وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهِلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ[3]، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ.

(١) شغر برجله: رفعها. ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها . من قولهم بلدة شاغرة برجلها أي معرضة للغارة لا تمتنع عنها . وتطأ في خطامها أي تتعثر فيه ، كناية عن ارسالها وطيشها وعدم قائدها . أما قوله عليه السلام فلأنا بطرق السماء أعلم الخ ، فالقصد به أنه في العلوم الملكوتية والمعارف الالهية أوسع احاطة منه بالعلوم الصناعية . وفي تلك تظهر مزية العقول العالية والنفوس الرفيعة . وبها ينال الرشد ويستضيء الفكر (٢) المعقل ــ كمسجد ــ الملجأ . وذروة كل شيء : أعلاه . ومبادرة الموت : سبقه بالأعمال الصالحة ، وفي غمراته حال من الموت . والغمرات : الشدائد . ومهد ــ كمنع ــ معناه هنا عمل (٣) الأرماس : القبور ــ جمع رمس ــ وأصله اسم للتراب . والابلاس حزن في خذلان و يأس .

وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ . وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ وَإِسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ . وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ . وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ

فَاللهَ ٱللهَ عِبَادَاللهِ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ ، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[١]. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا ، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[٢] . وَٱنْصَرَمَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا . فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضَى . وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا[٣] ، وَسَمِينُهَا غَثًّا . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ . وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[٤] ، عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ، ذَاكٍ

والمطلع بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التى منها يشرف الانسان على أمور الآخرة وهى منزلة البرزخ. وأصل المطلع موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار . واختلاف الأضلاع دخول بعضها فى موضع الآخر من شدة الضغط. واستكاك الأسماع: صممها من التراب أو الأصوات الهائلة . والضريح: اللحد. والردم : السد. والصفيح: الحجر العريض . والمراد مايسد به القبر (١) طريق معروف تفعل بكم فعلها بمن سبقكم . والقرن ـ محركا ـ الحبل يقرن به البعيران، كناية عن القرب وأن لابد منها . والأشراط : العلامات. وأزفت : قربت . والافراط ـ جمع فرط ـ بسكون الراء وهو العلم المستقيم يهتدى به أى بدلائلها (٢) الكلاكل : الصدور كناية عن الأثقال (٣) الرث : البالى . والغث : المهزول (٤) الكلب ـ محركا ـ أكل بلا شبع. واللجب: الصياح أو الاضطراب. والتغيظ:

وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍّ قَرَارُهَا[١] ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا « وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا » قَدْ أُمِنَ ٱلْعَذَابُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ . وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ . ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً . وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَخَشُّعًا وَٱسْتِغْفَارًا . وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشًا وَٱنْقِطَاعًا[٢] . فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآبًا ، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَابًا . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا . فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ . وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ . فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ ، إِسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ

إِلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ[٣] ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ

الهيجان. والزفير صوت توقد النار . وذكت النار: اشتدلهيبها (١) غم: صفةمن غمه إذا غطاه، أى مستور قرارها المستقر فيه أهلها (٢) لايريد من التوحش النفرة من الناس والجفوة فى معاملتهم بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون اليها (٣) لزوم الأرض كناية عن السكون، ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة، و ينهاهم

وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ. وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ . وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ(١) . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ(٢) ، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ . الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ . وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ . وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ(٣) ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

عن التعجل بحمل السلاح تثبيتاً لقول يقوله أحدهم فى غير وقته، ويأمرهم بالحكمة فى العمل لا يأتونه إلا عند رجحان نجحه. واصلات السيف: سله (١) الفاشى : المنتشر. والجد ـ بالفتح ـ العظمة (٢) جمع توأم ـ كجعفر ـ وهو المولود مع غيره فى بطن ، وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل (٣) ضرب فى الماء: سبح. وضرب فى الأرض: سار بسرعة

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ اللهِ عَلَيْكُمْ، وَالْمُوجِبَةُ عَلَى اللهِ حَقَّكُمْ[١]. وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى اللهِ. فَإِنَّ التَّقْوَى فِي الْيَوْمِ الْحِرْزُ وَالْجُنَّةُ، وَفِي غَدٍ الطَّرِيقُ إِلَى الْجَنَّةِ. مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ[٢]. لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى الْأُمَمِ الْمَاضِينَ وَالْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ اللهُ مَا أَبْدَى، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى، وَسَأَلَ مَا أَسْدَى[٣]. فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا. أُولٰئِكَ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا. وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ: «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ». فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا[٤]، وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا. وَاعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا. أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ،

وأبعد. والغمرة: الماء الكثير والشدة. والمراد هنا إما شدة الفتن و بلاياها أو شدة الجهل و رزاياه. والأزمة ـ جمع زمام ـ ما تقاد به الدابة. والحين ـ بفتح الحاء ـ الهلاك. والرين ـ بفتح الراء ـ التغطية والحجاب وهو هنا حجاب الضلال (١) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين» يريد أن التقوى جعلها الله سببا لاستحقاق ثوابه ومعينة على رضائه. والجنة ـ بضم الجيم ـ الوقاية و بفتحها دار الثواب (٢) مستودع التقوى هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله (٣) أسدى: منح وأعطى (٤) الاهطاع: الاسراع، أهطع البعير: مد عنقه وصوب رأسه،

وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ[١] ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ . وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا[٢] . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا[٣] ، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهًا . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا[٤] وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٥] وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ[٦] ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ

---

(١) رحض ـ كمنع ـ غسل. والحمام ـ ككتاب ـ الموت (٢) أى لا تكونوا عبرة يتعظ بسوء مصيركم من أطاع التقوى وأدى حقوقها (٣) تصونوا : تحفظوا . والنزاه ـ جمع نازه ـ العفيف النفس . والولاه ـ جمع واله ـ الحزين على الشيء حتى يناله أى المشتاق (٤) شام البرق : نظر اليه أين يمطر . والبارق : السحاب ، أى لا تنظروا لما يغركم من مطامعها . والأعلاق ـ جمع علق ـ بالكسر بمعنى النفيس (٥) خالب : خادع . والمحروبة : المنهوبة (٦) المتصدية : المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها ، ومن الدواب ما تمشى معترضة خابطة . ـ والعنون ـ بفتح فضم ـ مبالغة من عن إذا ظهر ، ومن الدواب المتقدمة فى السير ، شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق الدواب وان لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير طريق . والجامحة : الصعبة على راكبها . والحرون التى إذا طلب بها السير وقفت والمائنة : الكاذبة . والخؤون : مبالغة فى الخائنة . والكنود ـ من كند ـ كنصر : كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره وهو به عالم . والعنود : شديدة العناد . والصدود : كثيرة الصد والهجر . والحيود مبالغة فى الحيد : بمعنى الميل . والميود ـ من ماد ـ إذا اضطرب. يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا فى طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربته ، ومن

وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ. وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ. حَالُهَا انْتِقَالٌ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ. دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ[1]، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ. أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ[2]. قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[3]، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا. فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ[4]. فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ[5]، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ. وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ[6]، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ. وَقَدْ أَدْبَرَتِ

حار بها سالمته (١) الحرب ــ بالتحريك ــ سلب المال. والعطب: الهلاك (٢) أى قائمون على ساق استعدادا لما ينتظرون من آجالهم. والسياق مصدر ساق فلانا إذا أصاب ساقه، أى ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم، أو هو السياق بمعنى الشروع فى نزع الروح من ساق المريض سياقا. واللحاق للماضين، والفراق عن الباقين (٣) تحير المذاهب: حيرة الناس فيها. والمهارب أعجزت الناس عن الهروب لأنها ليست كما يرونها مهارب بل هى مهالك (٤) المحاول ــ جمع محال بفتح الميم ــ أو محالة بمعنى الحذق وجودة النظر، أى لم يفدهم ذلك خلاصا (٥) أى فمنهم ناج من الموت معقور أى مجروح، أو هو من عقر الشاة والبعير إذا ضرب ساقه بالسيف وهو قائم، والمجزور: المسلوخ أخذ عنه جلده. والشلو ــ بالكسر ــ هنا البدن كله. والمسفوح المسفوك (٦) المرتفق بخديه: واضع خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين وهو جالس على أليتيه. وهذه الأوصاف كناية عن الندم على التفريط والافراط. والزارى

الْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتِ الْغِيلَةُ(١) ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَافَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا(٢) «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تُسَمَّى الْقَاصِعَةَ(٣)

وَهِيَ تَتَضَمَّنُ ذَمَّ إِبْلِيسَ عَلَى اسْتِكْبَارِهِ وَتَرْكِهِ السُّجُودَ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الْعَصَبِيَّةَ(٤) وَتَبِعَ الْحَمِيَّةَ وَتَحْذِيرَ النَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ وَاخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ(٥) ، وَاصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ ، وَجَعَلَ اللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ اخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ

على رأيه المقبح له اللائم لنفسه عليه (١) الغيلة : الشر الذي أضمرته الدنيا في خداعها. ولات حين مناص أي ليس الوقت وقت التملص والفرار (٢) البال : القلب والخاطر. والمراد ذهبت على ماتهواه لا على مايريد أهلها (٣) من قصع فلان فلانا : أي حقره لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين ، أومن قصع الماء عطشه إذا أزاله ، لأن سامعها لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش (٤) الاعتزاز بالعصبة وهي قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم في الباطل والفساد فهي هنا عصبية الجهل ، كما أن الحمية حمية الجاهلية. أما التناصر في الحق والحمية عليه فهو أمر محمود في جميع أحواله ، والكبر على الباطل تواضع للحق (٥) الحمى : ماحميته عن وصول الغير إليه

اَلْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ الْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ الْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ الْغُيُوبِ : « إِنِّى خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ » اعْتَرَضَتْهُ الْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ اللهِ إِمَامُ الْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، الَّذِى وَضَعَ أَسَاسَ الْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ اللهَ رِدَاءَ الْجَبْرِيَّةِ . وَادَّرَعَ لِبَاسَ التَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ التَّذَلُّلِ

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ اللهُ بِتَكَبُّرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ . فَجَعَلَهُ فِى الدُّنْيَا مَدْحُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِى الْآخِرَةِ سَعِيرًا

وَلَوْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ الْعُقُولَ رُوَاؤُهُ[1] ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ الْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ الْبَلْوَى فِيهِ عَلَى الْمَلَائِكَةِ . وَلَٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِى خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ اللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ

---

(١) الرواء ــ بضم ففتح ــ حسن المنظر . والعرف ــ بالفتح ــ الرائحة والتصرف فيه

وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللّٰهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ[١]. فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ[٢]؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ[٣]

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ[٤] ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ[٥] ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[٦] . وَقَالَ : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ مُصِيبٍ . صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ[٧] ،

---

(١) عن متعلق بأحبط ، أى أضاع عمله بسبب كبر ساعة (٢) أى يسلم من عقابه ، وكأنه استعمل سلم بمعنى ذهب أو فات فأتى بعلى (٣) الهوادة ــ بالفتح ــ اللين والرخصة (٤) أن يصيبكم بشىء من دائه بالمخالطة كما يعدى الأجرب السليم ، والضمير لابليس ويستفزكم : يستنهضكم لما يريد فان تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله أى ركبانه ، ورجله أى مشاته . والمراد أعوان السوء (٥) النزع فى القوس : مدها . وأغرق النازع إذا استوفى مد قوسه (٦) لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم (٧) صدق ابليس

وَإِخْوَانُ الْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ الْكِبْرِ وَالْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا انْقَادَتْ لَهُ الْجَامِحَةُ مِنْكُمْ[1] ، وَاسْتَحْكَمَتِ الطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ الْحَالُ مِنَ السِّرِّ الْخَفِيِّ إِلَى الْأَمْرِ الْجَلِيِّ . اسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ . فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ الذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ الْقَتْلِ ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ الْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ الْقَهْرِ إِلَى النَّارِ الْمُعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً[2] ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ الَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[3] ، وَلَهُ جِدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ اللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ

فى توعد بنى آدم بالاغواء أولئك الغشماء أبناء الحمية الجاهلية (١) أى استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم وهو المراد بالجامحة . والطماعية : الطمع . وقوله فنجمت الخ أى بعد أن كانت وسوسة فى الصدور وهمساً فى القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدى بالسلاح . ودلفت الكتيبة فى الحرب : تقدمت . وأقحموكم : أدخلوكم بغتة. والولجات ـ جمع ولجة ـ بالتحريك. كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه. أوطأه: أركبه. واثخان الجراحة المبالغة فيها ، أى أركبوكم الجراحات البالغة كناية عن اشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا . والخزائم ـ جمع خزامة ككتابة ـ وهى حلقة توضع فى وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام (٢) فأصبح أى ابليس. وقوله وأورى الخ أى أشد قدحا للنار فى دنياكم لاتلافها ، و بالجلة فهو أضر عليكم بوساوسه من اخوانكم فى الانسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين أى مجاهرين لهم بالعداوة ومتألبين أى مجتمعين (٣) أى غضبكم وحدتكم. وله جدكم ـ بفتح الجيم ـ أى قطعكم، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه

فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ . يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[1] . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ . وَحَلْقَةِ ضِيقٍ . وَعَرْصَةِ مَوْتٍ . وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[2] . وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[3] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجْلًا وَفُرْسَانًا . وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

(١) البنان : الأصابع (٢) النخوة : التكبر والتعاظم . والنزغة : المرة من النزغ بمعنى الافساد . والنفثة : النفخة (٣) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذو و السلاح

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ[1]، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلّهِ بِالْمُنَاصَبَةِ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ. فَاللّهَ اللّهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ[2] وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ. حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ[3]، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ، ذُلُلاً عَلَى سِيَاقِهِ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ. أَمْرًا تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ. وَكِبْرًا تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ[4]، وَجَاحَدُوا اللّهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ. مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ[5]. فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ. وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ[6]. فَاتَّقُوا اللّهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا، وَلَا لِفَضْلِهِ

---

(١) أمعنتم: بالغتم. والمصارحة: التظاهر (٢) الملاقح — جمع ملقح كمكرم — الفحول التي تلقح الاناث وتستولد الأولاد. والشنآن البغض (٣) أعنقوا: من أعنقت الثريا غابت، أي غابوا واختفوا. والحنادس — جمع حندس — بكسر الحاء الظلام الشديد. والمهاوي — جمع مهواة — الهوة التي يتردى فيها الصيد. والذلل — جمع ذلول — من الذل بالضم ضد الصعوبة. والسياق هنا السوق. والسلس — بضمتين — جمع سلس — ككتف — السهل. والقياد من أمام كالسوق من خلف (٤) الهجينة: الفعلة القبيحة. والتهجين: التقبيح أي أنهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم (٥) الآلاء: النعم (٦) اعتزاء الجاهلية: تفاخرهم بأنسابهم كل منهم يعتزي أي ينتسب إلى أبيه وما فوقه

عِنْدَكُمْ حُسَّادًا . وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ[1] ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ . اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ . وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . إِسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ[2] ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ[3] ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ[4] ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ[5] كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ

من أجداده، وكثيراً مايجر التفاخر إلى الحرب، وإنما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها (١) الأدعياء — جمع دعي — وهو من ينتسب إلى غير أبيه، والمراد منهم الأخساء المنتسبون إلى الأشراف والأشرار المنتسبون إلى الأخيار. وشربتم بصفوكم كدرهم أى خلطوا صافى اخلاصكم بكدر نفاقهم. و بسلامة أخلاقكم مرض أخلاقهم. والاحلاس — جمع حلس بالكسر — كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه . والعقوق : العصيان (٢) النبل — بالفتح — : السهام (٣) المثلات — بفتح فضم — العقوبات (٤) مثاوى — جمع مثوى — بمعنى المنزل . ومنازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد الموت . ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب (٥) لواقح الكبر : محدثاته فى النفوس

كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ . فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ . وَقَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللهُ بِالْمَخْمَصَةِ[1] ، وَٱبْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ . وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ[2] جَهْلًا بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى وَٱلِاقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ :

« أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ وَهُمَا

---

(١) المخمصة : الجوع . والمجهدة :المشقة . ومخض اللبن : تحريكه ليخرج زبده. والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية (٢) لاتجعلوا كثرة الأولاد و وفرة الأموال دليلا على رضاء الله، والنقص فيهما دليلا علي سخطه، فقد يكون الأول فتنة واستدراجاً ، والثانى ؛ وابتلاء

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ[1] ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ[2] ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا[3] . وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى[4]

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

---

(١) الذهبان ــ بضم الذال ــ: جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء أي مابه يتميز الخبيث من الطيب، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر، فان الفعل اضطراري وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة، ثم لا يكون للقابلين دعوة الأنبياء أجور المبتلين أي الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذ ذاك ايماناً مع أن الايمان في الحقيقة هو الاذعان والتصديق، فلا يكون معنى الاسم لازما له

(٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي ٱلِاعْتِبَارِ[١] وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلَكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ[٢]، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا. ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَرًا، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَرًا. وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْرًا. بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[٣]، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ. لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ[٤]. ثُمَّ أَمَرَ

---

(١) أى أضعف تأثيراً فى القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها. وأبعد للناس أى أشد توغلا بهم فى الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة فى العظمة والكبرياء حينئذ. وقوله فكانت النيات مشتركة، أى لأن الايمان لم يكن خالصا لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هى الكعبة. والنتائق ـ جمع نتيقة ـ: البقاع المرتفعة. ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان. والمدر قطع الطين اليابس أو العلك الذى لارمل فيه. وأقل الأرض مدراً لاينبت إلا قليلا (٣) لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها. والوشلة ـ كفرحة ـ قليلة الماء (٤) لايزكو: لاينمو. والخف

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ »
إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ
بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ[1] ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ،
وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ،
وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ[2] ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ
لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ،
وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا[3] . وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ
فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ
الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى[4]

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ
نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

---

(١) الذهبان — بضم الذال — : جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء أى ما به يتميز الخبيث من الطيب ، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر ، فان الفعل اضطرارى وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة ، ثم لا يكون للقابلين دعوة الأنبياء أجور المبتلين أى الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذ ذاك ايماناً مع أن الايمان فى الحقيقة هو الاذعان والتصديق ، فلا يكون معنى الاسم لازما له
(٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي ٱلِاعْتِبَارِ[١] وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ[٢] ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَرًا ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَرًا . وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْرًا . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[٣] ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ[٤] . ثُمَّ أَمَرَ

---

(١) أى أضعف تأثيراً فى القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها . وأبعد للناس أى أشد توغلا بهم فى الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة فى العظمة والكبرياء حينئذ. وقوله فكانت النيات مشتركة، أى لأن الايمان لم يكن خالصا لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هى الكعبة. والنتائق ــ جمع نتيقة ــ: البقاع المرتفعة. ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان. والمدر قطع الطين اليابس أو العلك الذى لارمل فيه . وأقل الأرض مدراً لاينبت إلا قليلا (٣) لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها. والوشلة ــ كفرحة ــ قليلة الماء (٤) لايزكو : لاينمو . والخف

آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ(١)، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ(٢) مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلّٰهِ حَوْلَهُ(٣). وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ(٤)، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، إِبْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللّٰهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ(٥)، جَمِّ الْأَشْجَارِ، دَانِي الثِّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ(٦)، وَرَوْضَةٍ

عبارة عن الجمال. والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها. والظلف عبارة عن البقر والغنم، تعبيرعن الحيوان بماركبت عليه قوائمه (١) ثنى عطفه اليه: مال وتوجه اليه. ومنتجع الأسفار: محل الفائدة منها ومكة صارت بفريضة الحج دارا للمنافع التجارية كما هى دار لكسب المنفعة الأخروية. وملقى مصدر ميمى من القى أى نهايه حصر حالهم عن ظهور ابلهم (٢) تهوى. تسرع سيراليه والثمار ـ جمع ثمرة ـ والمراد هنا الارواح. والمفاوز ـ جمع مفازة ـ الفلاة لاماء بها. والسحيقة: البعيدة. والمهاوى ـ كالهوات ـ منخفضات الأراضى. والفجاج: الطرق الواسعة بين الجبال (٣) يهزوا أى يحركوا مناكبهم أى رؤس أكتافهم لله يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك فى السعى والطواف. والرمل ضرب من السير فوق المشى ودون الجرى. والأشعث المنتشر: الشعر مع تلبد فيه. والأغبر: من علا بدنه الغبار (٤) السرابيل: الثياب. واعفاء الشعور: تركها بلا حلق ولاقص (٥) القرار المطمئن من الأرض. وجم الأشجار كثيرها والبنى ـ جمع بنية بضم الباء وكسرها ـ ما ابتنيته. وملتف البنى كثير العمران (٦) البرة: الحنطة. والسمراء:

خَضْرَاء ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلاَءِ . وَلَوْ كَانَ الإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا(١)، وَالأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلِجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ(٢) ، وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجًا لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَانًا لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ . وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَابًا فُتُحًا إِلَى فَضْلِهِ(٣) ، وَأَسْبَابًا ذُلُلاً لِعَفْوِهِ .

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ(٤) . فَمَا تُكْدِي أَبَدًا(٥) ، وَلاَ تُشْوِي

أجودها . والأرياف : الأراضى الخصبة والعراص ـ جمع عرصة ـ الساحة ليس بها بناء والمحدقة : من أحدقت الروضة صارت ذات شجر . والمغدقة : من أغدق المطر كثر ماؤه

(١) الاساس ـ بكسر الهمزة جمع اس ـ مثلثها أو أساس (٢) الاعتلاج : الالتطام. اعتلجت الأمواج التطمت، أى زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس (٣) فتحا بضمتين أى مفتوحة واسعة (٤) تساور القلوب أى تواثبها وتقاتلها (٥) أكدى الحافر

أَحَدًا ، لَاعَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ (١). وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ ٱللهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢) بِالصَّلَوَاتِ وَٱلزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ (٣) ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيضًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَابًا لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعًا (٤) ، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلًا . مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ (٥)

ٱنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ (٦) ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ (٧). فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ

---

(١) الطمر ـ بالكسر ـ الثوب الخلق أو الكساء البالى من غير الصوف، أى أن البغى والظلم والكبر هى آلات ابليس وأسلحته المهلكة لاينجو منها العالم فضلا عن الجاهل ولا الفقير فضلا عن الغنى إذا عجز عن التأثير فى الأرض. وأشوت الضربة أخطأت المقتل (٢) ماحرس أى حراسة الله للمؤمنين بالصلوات الخ ناشئة عن ذلك ، فهذه الفرائض لتلخيص النفوس من تلك الرذائل (٣) الأطراف : الأيدى والأرجل (٤) عتاق الوجوه : كرامها وهو جمع عتيق من عتق إذا رقت بشرته . والمتون الظهور (٥) هذا نوع من تحكيم الفقراء فى أموال الاغنياء وتسليط لهم عليهم، وفيه اضعاف لكبر الاغنياء (٦) القمع : القهر. والنواجم من نجم إذا طلع وظهر. والقدع الكف والمنع (٧) تليط وتلوط أى تلصق : وقوله غيركم أى لا أنتم فانكم تتعصبون لا عن حجة

وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ . وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ : أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ [١] فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ . فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ [٢] بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ [٣] ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ [٤] بِسُوءِ

يقبلها السفيه ولا عن علة تحتمل التمويه (١) المترف ـ على صيغة اسم المفعول ـ الموسع له فى النعم يتمتع بما شاء من اللذات. وآثار مواقع النعم ماينشأ عنها من التعالى والتكبر. وعلة ابليس والامم المترفة و إن كانت فاسدة إلا أنها شىء فى جانب ما تتعلل به القبائل فى مقاتلة بعضها بعضا (٢) اليعاسيب ـ جمع يعسوب ـ وهو أمير النحل ، و يستعمل مجازا فى رئيس القوم كما هنا . والاخلاق الرغيبة: المرضية المرغوبة . والاحلام: العقول (٣) الجوار ـ بالكسر ـ المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم. والذمام: العهد (٤) العقوبات

ٱلْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ . وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ(١) فَٱلْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ(٢)، وَزَاحَتِ ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ ٱلْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ، وَٱنْقَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ ٱلِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ(٣)، وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَٱلتَّوَاصِي بِهَا، وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ(٤)، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ. مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ وَٱلْبَلَاءِ(٥). أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَالًا. ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ(٦) فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ. لَا يَجِدُونَ حِيلَةً

---

(١) من سعادة وشقاء (٢) لزمت العزة به شأنهم أى كان سببا فى عزتهم وما يتبعها من الأحوال الآتية. ومدت أى انبسطت (٣) من الاجتناب بيان لأسباب العزة و بعد الاعداء وانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة (٤) الفقرة ـ بالكسر والفتح ـ كالفقارة بالفتح ـ ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب. وأوهن أى أضعف. والمنة ـ بضم الميم ـ القوة (٥) التمحيص: الابتلاء والاختبار (٦) المرار ـ بضم ففتح ـ شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الابل إذا أكلته؛

فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى ٱللهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجًا ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا . وَأَئِمَّةً أَعْلَامًا ، وَبَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ

فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً(١) ، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً ، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ(٢) ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ . فَٱنْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَازِبِينَ قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ(٣) . وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ

فَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ

أي جرعوهم عصارته (١) الأملاء — جمع ملأ — بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة المتعاونة (٢) أربابا : سادات (٣) غضارة النعمة : سعتها . وقصص الأخبار : حكايتها

عَلَيْهِمُ السَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ اعْتِـدَالَ الْأَحْوَالِ(١) ، وَأَقْرَبَ اشْتِبَاهَ الْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ الْأَكَاسِرَةُ وَالْقَيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ الْآفَاقِ(٢) ، وَبَحْرِ الْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ الدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ الشِّيحِ ، وَمَهَافِي الرِّيحِ(٣) ، وَنَكَدِ الْمَعَاشِ . فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ(٤) ، أَذَلَّ الْأُمَمِ دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا . لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا(٥) ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءِ أَزْلٍ(٦) ، وَإِطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ(٧) ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا(٨) ،

ورواياتها (١) الاعتدال هنا التناسب . والاشتباه التشابه (٢) يحتازونهم: يقبضونهم عن الأراضي الخصبة (٣) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب . والنكد ـ بالتحريك ـ أي الشدة والعسر (٤) الدبر ـ بالتحريك ـ القرحة في ظهر الدابة . والوبر : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة (٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون اليه ويعتصمون بمناصرة دعوته (٦) بلاء أزل : على الاضافة . والأزل ـ بالفتح (*) ـ الشدة (٧) من وأد بنته ـ كوعد ـ أي دفنها وهي حية . وكان بنو اسماعيل من العرب يفعلون ذلك ببناتهم . وشن الغارة عليهم: صبها من كل وجه (٨) هو نبينا

(*) أي بفتح الهمزة مع سكون الزاي

فعقد بملّته طاعتهم ، وجمع على دعوته ألفتهم . كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، وأسالت لهم جداول نعيمها ، والتفت الملّة بهم في عوائد بركتها[١] . فأصبحوا في نعمتها غرقين ، وعن خضرة عيشها فكهين[٢] . قد تربّعت الأمور بهم[٣] ، في ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال إلى كنف عزّ غالب . وتعطّفت الأمور عليهم في ذرى ملك ثابت . فهم حكّام على العالمين ، وملوك في أطراف الأرضين . يملكون الأمور على من كان يملكها عليهم . ويمضون الأحكام فيمن كان يمضيها فيهم . لا تغمز لهم قناة[٤] ، ولا تقرع لهم صفاة

ألا وإنكم قد نفضتم أيديكم من حبل الطّاعة . وثلمتم حصن الله المضروب عليكم بأحكام الجاهلية[٥] . فإنّ الله سبحانه قد امتنّ على جماعة هذه الأمّة فيما عقد بينهم من حبل هذه الألفة

صلى الله عليه وسلم (١) يقال التف الحبل بالحطب إذا جمعه ، فلة محمد صلى الله عليه وسلم جمعتهم بعد تفرقهم ، وجعلتهم جميعا فى بركاتها العائدة اليهم (٢) راضين طيبة نفوسهم (٣) تربعت : أقامت (٤) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم . والقناة الرمح . وغمزها : جسها باليد لينظر هل هى محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك . والصفاة الحجر الصلد . وقرعها : صدمها لتكسر (٥) ثلمتم : خرقتم . وقوله بأحكام

ٱلَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَابًا(١)، وَبَعْدَ ٱلْمُوَالَاةِ أَحْزَابًا. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا بِٱسْمِهِ. وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ

تَقُولُونَ ٱلنَّارَ وَلَا ٱلْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا ٱلْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، ٱنْتِهَاكًا لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ(٢) ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ ٱلْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا ٱلْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَكُمْ

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ. فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ

---

(١) أى صرتم من أعراب البادية الذين يكتفى فى اسلامهم بذكر الشهادتين وان لم يخالط الأيمان قلوبهم، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين. والموالاة: المحبة. والأحزاب: المتفرقون المتقاطعون (٢) هو ميثاق الاخوة الدينية الجاهلية متعلق بثلمتم

بَأْسِهِ . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ ٱلْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ. فَلَعَنَ ٱللهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ[1] وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ[2] . وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ. وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ[3] . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ . وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ[4] إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّرًا

أَنَا وَضَعْتُ فِي ٱلصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ[5] ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ

---

(١) نقض العهد (٢) القاسطون : الجائرون عن الحق . والمارقة الذين مرقوا من الدين أي خرجوا منه . ودوخهم أي أضعفهم وأذلهم (٣) الردهة ـ بالفتح ـ النقرة فى الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطانها ذو الثدية من رؤساء الخوارج وجد مقتولا فى ردهة. والصعقة : الغشية تصيب الانسان من الهول . ووجبة القلب اضطرابه وخفقانه . ورجة الصدر اهتزازه وارتعاده (٤) لأديلن منهم : لأمحقنهم . ثم أجعل الدولة لغيرهم. ومايتشذر أي يتفرق ، أي لايفلت مني إلا من يتفرق فى أطراف البلاد (٥) الكلاكل : الصدور عبر بها عن الأكابر . والنواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة ، يريد بها

قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِٱلْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[1] . وَكَانَ يَمْضُغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ[2] . وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ[3] يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[4] فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

أشراف القبائل . قرون مضاف وربيعة مضاف اليه (١) عرفه ـ بالفتح ـ رائحته الذكية
(٢) الخطلة: واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح . والخطل : الخطأ ينشأ عن عدم
الروية (٣) الفصيل ولد الناقة (٤) حراء بكسر الحاء جبل على القرب من مكة

وَآلِهِ ، فَقُلْتُ يَارَسُولَ ٱللهِ مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ . وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ[١] ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ[٢] ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ . فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ

---

(١) لاتفيئون : لاترجعون (٢) القليب ـ كأمير ـ البئر . والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش ، والأحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه

بِالْحَقِّ لَانقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ[١] حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا ـ عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا ـ : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا ـ كُفْرًا وَعُتُوًّا ـ فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ . فَقُلْتُ أَنَا : لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا (يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ . عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ[٢] . مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ . يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ .

صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق (١) القصف . الصوت الشديد (٢) عمار ـ جمع عامر ـ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ(١) وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رُوِيَ أَنَّ صَاحِبًا لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِدًا ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَتَثَاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ،

أي يعمرونه بالسهر للفكر والعبادة (١) يغلون : يخونون

وَمَلْبَسُهُمُ ٱلِاقْتِصَادُ[١] ، وَمَشْيُهُمُ ٱلتَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ[٢] . وَلَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كُتِبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى ٱلثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَابِ . عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا[٣] فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ[٤] ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ[٥] يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا . وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا ٱللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ

---

(١) ملبسهم الخ ، أى أنهم لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجاتهم فى تقويم حياتهم ، فكان الانفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم لكنهم يتوسعون فى الخيرات (٢) نزلت الخ ، أى أنهم إذا كانوا فى بلاء كانوا بالأمل فى الله كأنهم كانوا فى رخاء لا يجزعون ولا يهنون ، و إذا كانوا فى رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم فى بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون (٣) أى هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما ، فكأنهم فى نعيم الأولى وعذاب الثانية رجاء وخوفا (٤) نحافة أجسادهم من الفكر فى صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم له (٥) يقال أربحت التجارة إذا أفادت ربحاً

وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ(١). فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ(٢). فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطَّلِبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ(٣) يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا(٤)

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ. وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ(٥) إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ(٦) خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ

---

(١) استثار الساكن هيجه، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحى للجهل فهو دواؤه (٢) زفير النار: صوت توقدها. وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق الحمار، أى أنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم. وفكاك الرقاب خلاصها (٣) القداح ــ جمع قدح بالكسر ــ وهو السهم قبل أن يراش. وبراه: نحته، أى رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت (٤) خولط فى عقله أى مازجه خلل فيه، والأمر العظيم الذى خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله (٥) مشفقون: خائفون من التقصير فيها (٦) زكى: مدحه

بِنَفْسِى مِنْ غَيْرِى ، وَرَبِّى أَعْلَمُ بِى مِنْ نَفْسِى . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِى أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِى مَا لَا يَعْلَمُونَ

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِى دِينٍ ، وَحَزْمًا فِى لِينٍ ، وَإِيمَانًا فِى يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِى عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِى حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِى غِنًى[1] وَخُشُوعًا فِى عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِى فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِى شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِى حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِى هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ[2] . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُمْسِى وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا . حَذِرًا لِمَا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[3] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ . وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى[4] . يَمْزِجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ . وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَلُهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنْزُورًا أَكْلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيزًا دِينُهُ[5] مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

---

(١) قصدا أى اقتصادا . والتجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة أى الفقر أحد (٢) التحرج عد الشىء حرجاً أى إثماً أى تباعداً عن طمع (٣) إن استصعبت أى إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة (٤) ما لا يزول هو الآخرة وما لا يبقى هو الدنيا (٥) منزوراً : قليلا . وحريزاً أى حصينا

إِنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ[١] . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشُهُ[٢] . لَيِّنًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلًا خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرُّهُ . فِي ٱلزَّلَازِلِ وَقُورٌ[٣] ، وَفِي ٱلْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي ٱلرَّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ[٤] . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يُضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ[٥] . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ . وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ

---

(١) أى إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكر له بقلبه وإن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصرا على تحريك اللسان مع غفلة القلب (٢) الفحش : القبيح من القول (٣) فى الزلازل أى الشدائد المرعدة . والوقور الذى لا يضطرب (٤) لا يأثم الخ أى لا تحمله المحبة على أن يرتكب إثما لارضاء حبيبه (٥) أى لا يدعو غيره باللقب

(قَالَ) فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا[١]. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا . فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ[٢] ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلاً لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ[٣] . وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ[٤] ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ[٥] ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ . وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ،

---

(١) صعق : غشى عليه (٢) فما بالك لا تموت مع انطواء سرك على هذه المواعظ البالغة، وهذا سؤال الوقح البارد (٣) ذاد عنه : حمى عنه (٤) الغمرة : الشدة (٥) تلون أى تقلب له الأدنون أى الأقربون فلم يثبتوا معه . وتألب أى اجتمع على عداوته الأقصون أى الأبعدون . وخلعت العرب أعنتها ـ جمع عنان ـ وهو حبل اللجام أى خرجت عن طاعته فلم تنقد له بزمام أو المراد أنها خلعت الأعنة سرعة إلى حربه فان مالا يمسكه عنان يكون أسرع جرياً . والرواحل ـ جمع راحلة ـ وهى الذى يكره ويشمئز منه

وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ(١)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ. وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ(٢). يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَاناً، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَاناً(٣)، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ. قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ(٤)، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ. يَمْشُونَ الْخَفَاءَ(٥)، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ(٦). حَسَدَةُ الرَّخَاءِ(٧)، وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ، وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ. لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ(٨) وَإِلَى

الناقة أي ساقوا ركائبهم اسراعا لمحاربته (١) أسحق : أقصى (٢) الزالون من زل أى أخطأ. والمزلون من أزله إذا أوقعه فى الخطأ (٣) يفتنون أى يأخذون فى فنون من القول لايذهبون مذهباً واحداً. ويعمدونكم أى يقيمونكم بكل عماد. والعماد مايقام عليه البناء أى إذاملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم. والمرصاد: محل الارتقاب ويرصدونكم يقعدون لكم بكل طريق ليحولوكم عن الاستقامة (٤) دوية أى مريضة من الدوى بالقصر وهو المرض. والصفاح : جمع صفحة، والمراد منها صفاح وجوههم ونقاوتها صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها (٥) يمشون مشى التستر ويدبون أى يمشون على هينة دبيب الضراء أى يسرون سريان المرض فى الجسم أو سريان النقص فى الأموال والأنفس والثمرات (٦) الداء: العياء ـ بالفتح ـ الذى أعيى الأطباء ولا يمكن منه الشفاء (٧) حسدة : جمع حاسد، أى يحسدون على السعة وإذا نزل بلاء بأحد أكدوه وزادوه وإذا رجى أحد شيئا أوقعوه فى القنوط واليأس (٨) الصريع : المطروح على الأرض، أى أنهم كثيراً ماخدعوا أشخاصا حتى أوقعوهم فى الهلكة

كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ[١] . يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ[٢] ، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ . إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[٣] ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا ، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا ، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا ، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا . يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ[٤] . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ[٥] ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ[٦] ، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ . فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ[٧] وَحُمَةُ النِّيرَانِ «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ

---

(١) الشجو : الحزن أى يبكون تصنعامتى أرادوا (٢) يتقارضون كل واحد منهم يثنى على الآخر ليثنى الآخر عليه كأن كلا منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه اليه وكل يعمل للآخر عملا يرتقب جزاءه عليه (٣) بالغوا فى السؤال وألحوا . وان عذلوا أى لاموا كشفوا أى فضحوا من يلومونه (٤) ينفقون أى يروجون من النفاق ـ بالفتح ـ ضد الكساد . والاعلاق : جمع علق ، الشىء النفيس ، والمراد مايزينونه من خدائعهم (٥) أى يشبهون الحق بالباطل (٦) يهونون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم الفاسدة ثم بعد أن ينقادوا لهم يضلعون عليهم المضائق أى يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون (٧) اللمة ـ بضم ففتح ـ الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة . والحمة بالتخفيف الابرة تلسع بها العقرب ونحوها . والمراد لهيب النيران

مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ[١] ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ[٢] . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ[٣] . فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ . وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا . وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ[٤] ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ . فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ . وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ . لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ[٥] ، وَلَا يُنْقِصُهُ الْحِبَاءُ

---

(١) المقل بضم ففتح جمع مقلة وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد (٢) هماهم النفوس : همومها فى طلب العلم (٣) من طمس بفتحات أى امحى واندرس . وصدع أى شق بناء الباطل بصدمة الحق . والقصد الاعتدال فى كل شىء (٤) استفتحوه اسألوه الفتح على أعدائكم واستنجحوه اسألوه النجاح فى أعمالكم . واستمنحوه التمسوا منه العطاء (٥) ثلم السيف كسر جانبه مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء والحباء ــ ككتاب ــ العطية لامكافاة . واستنفده جعله نافد المال لاشىء عنده . واستقصاه أتى على آخر ما عنده . والله سبحانه لانهاية لما لديه من المواهب . ولا يلويه أى لايميله . وتولهه تذهله . ويجنه كيظنه يستره . وكأنه يريد رضى الله عنه أن صور الموجودات حجاب بين الوهم وسبحات وجهه وعلو ذاته مانع للعقل عن اكتناهه فهو بهذا باطن

وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ . وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ . وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ . وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ . وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ . وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ . وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ . قَرُبَ فَنَأَى ، وَعَلَا فَدَنَا . وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ . وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ (١) . لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ (٢) ، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ (٣) . فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ (٤) ، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ . وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ (٥) . وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ .

ومع ذلك فالأشياء بذاتها لاوجود لها وإنما وجودها نسبتها إليه فالوجود الحقيقي البريء من شوائب العدم وجوده فالوجودات أشعة ضياء الوجود الحق فهو الظاهر على كل شيء وبهذا تتبين الأوصاف الآتية (١) دان : جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد (٢) ذرأ أي خلق ، والاحتيال : التفكر في العمل وطلب التمكن من ابرازه ولا يكون إلا من العجز . والكلال الملل من التعب (٣) التقوى زمام يقود للسعادة . وقوام بالفتح أي عيش يحيا به الأبرار (٤) الاكنان جمع كن بالكسر مايستكن به . والدعة خفض العيش وسعته . والمعاقل : الحصون . والحرز : الحفظ (٥) الصروم جمع صرمة بالكسر وهي قطعة من الابل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين . والعشار ـ جمع عشراء ـ بضم ففتح ـ كنفساء ـ وهي الناقة مضى لحملها عشرة أشهر . وتعطيل جماعات الابل اهمالها من الرعي . والمراد أن يوم

فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ . وَتُدَكُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ(١) ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ . فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً(٢) ، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً . فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ(٣) . وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ . وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ . أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ . وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ(٤) ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ . سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ . وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ(٥) . تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ(٦) . فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ(٧) .

القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه (١) الشم ـ جمع أشم ـ أي رفيع . والشامخ : المتسامى فى الارتفاع. والصم ـ جمع أصم ـ وهو الصلب المصمت أي الذى لا تجويف فيه . والراسخ : الثابت (٢) الصلد : الصلب الأملس . والسراب : مايخيله ضوء الشمس كالماء خصوصا فى الأراضى السبخة وليس بماء . والرقرق ـ كجعفر ـ المضطرب ومعهدها المحل الذى كان يعهدوجودها فيه . والقاع : ما اطمأن من الأرض. والسملق ـ كجعفر ـ المستوى أى تنسف تلك الجبال و يصير مكانها قاعا صفصفا أى مستويا (٣) الضمير فى بعثه للنبى صلى الله عليه وسلم (٤) الشخوص الذهاب والانتقال إلى بعيد (٥) بائن : مبتعد منفصل (٦) تميد أى تضطرب اضطراب السفينة . تقصفها أى تكسرها الرياح الشديدة (٧) الوبق ـ بكسر الباء ـ الهالك أى منهم من هلك عند تكسر السفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة خلص محمولا على بطون الأمواج كأن الأمواج فى انتفاخها كالحيوان المنقلب على ظهره و بطنه

ومِنْهُمُ النَّاجِى عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا. فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ

عِبَادَ اللهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ، وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ[١]، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ[٢]، وَحُلُولِ الْمَوْتِ. فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[٣] أَنِّى لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ. وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِى فِى الْمَوَاطِنِ الَّتِى تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ[٤]، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ

لأعلى: وتحفزه أى تدفعه. ومصير هذا الناجى أيضا إلى الهلاك بعد طول العناء (١) اللدن ـ بالفتح ـ اللين أى والأعضاء فى لين الحياة يمكن استعمالها فى العمل. والمنقلب ـ بفتح اللام ـ مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى فى هذه الحياة (٢) أرهقه الشىء: أعجله فلم يتمكن من فعله. والفوت ذهاب الفرصة بحلول الأجل (٣) المستحفظون ـ بفتح الفاء ـ اسم مفعول أى الذين أودعهم النبى صلى الله عليه وسلم أمانة سره وطالبهم بحفظها. ولم يرد على الله ورسوله: لم يعارضهما فى أحكامهما (٤) المواساة بالشىء الاشراك فيه فقد أشرك النبى فى نفسه ولا تكون بالمال الا أن يكون كفافا فان أعطيت عن فضل فليس بمواساة قالوا والفصيح فى الفعل آسيته ولكن نطق الامام حجة

نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللهُ بِهَا(١)

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي(٢). وَلَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْنِيَةُ(٣) مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ(٤). يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ(٥)، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَالَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ الْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ الْبَاطِلِ(٦). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَعْلَمُ عَجِيجَ الْوُحُوشِ فِي الْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ الْعِبَادِ فِي الْخَلَوَاتِ، وَاخْتِلَافَ النِّينَانِ فِي الْبِحَارِ الْغَامِرَاتِ(٧)، وَتَلَاطُمَ الْمَاءِ بِالرِّيَاحِ الْعَاصِفَاتِ

(١) النجدة ـ بالفتح ـ الشجاعة. ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف (٢) نفسه دمه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فى مرضه فتلقى قيأه أمير المؤمنين فى يده ومسح به وجهه (٣) ضجيج الدار كان بالملائكة النازلين والعارجين. والأفنية جمع فناء ـ بكسر الفاء ـ مااتسع أمام الدار (٤) الهينمة الصوت الخفى (٥) البصيرة: ضياء العقل كأنه يقول فاذهبوا إلى عدوكم محمولين على اليقين الذى لاريبة فيه (٦) المزلة: مكان الزلل الموجب للسقوط فى الهلكة (٧) النينان ـ جمع نون ـ وهو الحوت

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللهِ[1] وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ[2] . فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[3] ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ[4] ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ[5] ، وَشَفِيعًا لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَنًا لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَسًا لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ[6] . فَمَنْ

---

(١) النجيب المختار المصطفى (٢) مرمى المفزع مايدفع اليه الخوف وهو الملجأ أى واليه ملاجىء خوفكم (٣) الجأش : مايضطرب فى القلب عند الفزع أو التهيب أو توقع المكروه (٤) الشعار : مايلى البدن من الثياب . والدثار : مافوقه (٥) المنهل ماترده الشاربة من الماء للشرب . والدرك ـ بالتحريك ـ اللحاق . والطلبة ـ بالكسر ـ المطلوب. والجنة ـ بالضم ـ الوقاية (٦) الأوار ـ بالضم ـ حرارة النار ولهيبها

أَخَذَ بالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا(١)، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا(٢) ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا(٣) ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ(٤) ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِي اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَأَصْفَاهُ(٥) خِيَرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ

---

(١) عزبت بالزاى غابت و بعدت (٢) الانصاب مصدر بمعنى الاتعاب (٣) تحدب عليه : عطف. ونضب الماء نضو بأغار وذهب فى الأرض. ونضوب النعمه: قلتها أو زوالها . وو بلت السماء : أمطرت مطراً شديداً. وأرذت ـ بتشديد الذال ـ ارذاذاً مطرت مطراً ضعيفاً فى سكون كأنه الغبار المتطاير (٤) فعبدوا أى فذللوا (٥) اصطناع الشيء على العين : الأمر بصنعته تحت النظر خوف المخالفة فى المطلوب من صنعته ، والمراد هنا تشريع الدين وتكميله على حسب علم الله الأعلى وتحت عنايته بحفظه . ووجه التجوز ظاهر ،وأصفاه العطاء و به أخلص له وآثره به ، وخيرة ـ بفتح الياء ـ أفضل مايضاف

مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ(١) ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ ٱلضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ(٢) . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ(٣) ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا(٤) ، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا(٥) ، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ .

اليه أى وآثر هذا الدين بأفضل الخلق ليبلغه للناس (١) محاديه — جمع محاد — الشديد المخالفة . والركن : العز والمنعة (٢) تئق الحوض — كفرح — امتلأ . واتأقه ملأه . والمواتح — جمع ماتح — نازع الماء من الحوض (٣) العفاء — كسحاب — الدروس والاضمحلال . والجذ : القطع . والضنك : الضيق. والوعوثة : رخاوة فى السهل تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشى فيه. والوضح : محركة بياض الصبح . والعصل — بفتح الصاد — الاعوجاج يصعب تقويمه. ووعث الطريق : تعسر المشى فيه . والفج : الطريق الواسع بين جبلين (٤) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص فى لين وخاض فيه. والأسناخ : الأصول . وغزرت : كثرت . وشبت النار : ارتفعت من الايقاد (٥) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى اليها . والسفار — بضم فتشديد — ذوو السفر أى يهتدى

فَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ، مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ، مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ، عَزِيزُ ٱلسُّلْطَانِ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ[1] مُعْوِزُ ٱلْمَثَارِ. فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ. ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ[2]. وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ[3]، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ. وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ. فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[4]، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَٱنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ ٱللهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ

اليه المسافرون فى طريق الحق . والأعلام . مايوضع على أوليات الطرق أو أوساطها ليدل عليها فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها (١) مشرف المنار : مرتفعه وأعوزه الشيء : احتاج اليه فلم ينله . والمثار مصدر من ثار الغبار إذا هاج أى لوطلب أحد اثارة هذا الدين لما استطاع لثباته (٢) الاطلاع : الاتيان اطلع فلان علينا أى أتانا (٣) الضمير فى بهجتها للدنيا . وقامت بأهلها على ساق أى أفزعتهم . وخشونة المهاد : كناية عن شدة آلامها. وأزف ـ كفرح ـ أى قرب ، والمراد من القياد انقيادها للزوال (٤) الأشراط جمع شرط ـ كسبب ـ أى علامات انقضائها. والتصرم : التقطع. والانفصام : الانقطاع .و إذا انفصمت الحلقة انقطعت الرابطة. وانتشار الأسباب تبددها

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ[١]، وَبَحْرًا لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ[٢]، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[٣]، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ[٤]، وَأَثَافِيُّ ٱلْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[٥]. وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ[٦]، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا ٱلْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا ٱلسَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا[٧] ٱلْقَاصِدُونَ.

حتى لاتضبط. وعفاء الاعلام اندراسها (١) خبت النار: طفئت (٢) المنهاج: الطريق الواسع. والنهج هنا السلوك. و يضل رباعى أى لايكون من سلوكه اضلال (٣) بحبوحة المكان: وسطه (٤) الرياض جمع روضة وهى مستنقع الماء فى رمل أو عشب. والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل. والمراد أن الكتاب مجمع العدالة تلتقى فيه متفرقاتها. والأثافى جمع أثفية الحجر يوضع عليه القدر أى عليه قام الاسلام (٥) غيطان الحق ــ جمع غاط أو غوط ــ وهو المطمئن من الأرض أى أن هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو (٦) لاينزفه أى لايفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون ولا ينضبها ــ كيكرمها ــ أى ينقصها. والماتحون ــ جمع ماتح نازع الماء من الحوض. والمناهل: مواضع الشرب من النهر. ولا يغيضها من أغاض الماء نقصه (٧) آكام ــ جمع أكمة ــ وهو الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله وهو دون الجبل فى غلظ لايبلغ أن يكون حجراً. فطرق الحق تنتهى إلى أعالى هذا الكتاب

جَعَلَهُ ٱللّٰهُ رِيًّا لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ ، وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ [١] ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ [٢] . وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُوصِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَعَاهَدُوا أَمْرَ ٱلصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ » وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ [٣] ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ ٱلرِّبَقِ [٤]

وعندها ينقطع سير السائرين اليه لايتجاوزنها والمتجاوز هالك . والمحاج - جمع محجة - وهي الجادة من الطريق (١) الفلج - بالفتح(*) - الظفر والفوز (٢) الجنة - بالضم - مابه يتقي الضرر . واستلأم أي لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب أي أن من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه والنوق من الضلالة كان القرآن وقاية له (٣) حت الورق عن الشجرة : قشره (٤) الربق - بالكسر - حبل فيه عدة

(*) أي بفتح الفاء مع سكون اللام

وَشَبَّهَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّةِ[١] تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ . وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ . يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ « رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ » وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصِبًا بِالصَّلَاةِ[٢] بَعْدَ التَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا » فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ

ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوِقَايَةً . فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ[٣] ، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ . فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ الْأَجْرِ . ضَالُّ الْعَمَلِ . طَوِيلُ النَّدَمِ

عرى كل منها ربقة أى اطلاق الحبل ممن ربطابه فكأن الذنوب ربق فى الاعناق والصلاة تفكها منه (١) الحمة ـ بالفتح ـ كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل . والدرن : الوسخ. روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيسر أحدكم أن يكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شىء ؟ قالوا نعم ، قال انها الصلوات الخمس (٢) نصبا ـ بفتح فكسر ـ أى تعبا (٣) أى من

ثُمَّ أَدَاءَ الْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمٰوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ ، وَالْأَرَضِينَ الْمَدْحُوَّةِ (١) ، وَالْجِبَالِ ذَاتِ الطُّولِ الْمَنْصُوبَةِ ، فَلاَ أَطْوَلَ وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ الْإِنْسَانُ «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا الْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ (٢) . لَطُفَ بِهِ خُبْرًا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ الْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى النَّاسِ ؛ وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَاللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ

أعطى الزكاة فلاتذهب نفسه مع ماأعطى تعلقاً به ولهفاً عليه . ومغبون الأجر : منقوصه
(١) المدحوة : المبسوطة (٢) مقترفون أى مكتسبون . والخبر بضم الخاء العلم والله لطيف العلم بما يكسبه الناس أى دقيقه كأنه ينفذ فى سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر فى مسام

بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ(٢) ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ(٣) . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ(٤) خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ

الأجسام بل هو أعظم من ذلك. والعيان ـ بكسر العين ـ المعاينة والمشاهدة (١) لا أستغمز مبنى للمجهول أى لا أستضعف بالقوة الشديدة . والمعنى لا يستضعفنى شديد القوة . والغمز: محركة ـ الرجل الضعيف (٢) المائدة هى مائدة الدنيا فلا تغرنكم رغباتها فتنضم بكم مع الضالين فى محبتها فذلك متاع قليل (٣) أى يجمعهم فى استحقاق العقاب فان الراضى بالمنكر كفاعله ومن لم ينه عنه فهو به راض (٤) خارت : صوتت كخوار الثور . والسكة المحماة حديدة المحراث إذا أحميت فى النار فهى أسرع غوراً فى الأرض الخوارة أى السهلة اللينة ، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان فى الأرض شىء من جذور

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللَّحَاقِ بِكَ . قَلَّ يَارَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي . إِلَّا أَنَّ لِي فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ[1] ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ . فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ . إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ . أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[2] إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ . وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا[3] فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ . هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ . وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ . وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ[4] . فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ . وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ ٱلصَّابِرِينَ

النبات ، يشتد الصوت كلما اشتدت السرعة (١) يريد بالتأسي الاعتبار بالمثال المتقدم. والفادح : المثقل . والتعزي : التصبر . وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه (٢) ينقضي بالسهاد وهو السهر (٣) هضمها : ظلمها . واحفاء السؤال : الاستقصاء فيه (٤) القالي :

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ[١] وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ. وَلاَ تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ. وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ. فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ مَا قَدَّمَ. لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً وَلاَ تُخْلِفُوا كُلاًّ فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كَانَ كَثِيراً مَا يُنَادِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ. وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا[٢]. وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لاَ بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلاَحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[٣]. وَكَأَنَّكُمْ

المبغض. والسئم من السآمة (١) أى ممر إلى الآخرة (٢) العرجة ـ بالضم ـ اسم من التعريج بمعنى حبس المطية على المنزل أى اجعلوا ركونكم اليها قليلا. والكؤود: الصعبة المرتقى (٣) ملاحظ المنية: منبعث نظرها. ودانية: قريبة. ونشبت: علقت بكم

بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى[1] (وَقَدْ مَضَى شَيْءٌ مِنْ هٰذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ بِخِلَافِ هٰذِهِ الرِّوَايَةِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة

وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقِمْتُمَا يَسِيرًا[2] وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا . أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ، وَأَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ، أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ

وَاللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ[3] . وَلَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ

إِلَى كِتَابِ اللّٰهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ . فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا

(١) استظهروا : استعينوا (٢) نقمتما أي غضبتما ليسير ، وأخرتما مما يرضيكما كثيرا لم تنظرا اليه (٣) الاربة – بكسر – الغرض والطلبة

وَإِخْوَانِي ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ(١) فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي . بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا فَرَغَ ٱللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ . فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللّٰهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى . أَخَذَ ٱللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱمْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْنًا بِٱلْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفّين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي ٱلْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي ٱلْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ . ٱللّٰهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ

(١) الاسوة ههنا التسوية بين المسلمين فى قسمة الأموال ، وكان ذلك قد أغضبهما على ما روى

ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ[1]

وقال عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع الى الحرب

امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي[2]، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ (يَعْنِي الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) عَلَى الْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا الْغُلَامَ مِنْ أَعْلَى الْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ الْحَرْبُ[3]، وَقَدْ وَاللّٰهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

---

(١) الارعواء : النزوع عن الغي والرجوع عن وجه الخطأ . ولهج به أي أولع به

(٢) املكوا عني أي خذوه بالشدة وأمسكوه لئلا يهدني أي يهدمني و يقوض أركان قوتي بموته في الحرب. ونفس به — كفرح — أي ضن به أي أبخل بالحسن والحسين على الموت (٣) نهكته الحمى : أضعفته وأضنته أي كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب فجبنتم مع أنها في عدوكم أشد تأثيرا. وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم باجابتهم فكأنهم أمروه ونهوه فامتثل لهم

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا . وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًّا . وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي
وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هَٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا . أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ، وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا [١] ، فَإِذًا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ وَمَا لَهُ ؟ قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ [٢] لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ .

---

(١) أطلع الحق مطلعه : أظهره حيث يجب أن يظهر (٢) عدى – تصغير عدو – وفي هذا الكلام بيان أن لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء القصد فيها

أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ : يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ . قَالَ :

وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر(٢)، فقال عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا . وَصِدْقًا وَكَذِبًا . وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا وَعَامًّا وَخَاصًّا . وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا . وَحِفْظًا وَوَهْمًا . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ :

---

(١) يقدروا أنفسهم أى يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغنى فى الاقتصاد وصرف الأموال فى وجوه الخير ومنافع العامة وتسلية للفقير على فقره حتى لايتبيغ أى يهيج به ألم الفقر فيهلكه . وقد روى المعنى بتمامه بل بأكثر تفصيلا عنه كرم الله وجهه فى عبارة أخرى (٢) الخبر الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ[١] ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ[٢] فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللّٰهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلسَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ ٱلضَّلَالَةِ وَٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱلنَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ ٱلنَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ ٱلدُّنْيَا . وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللّٰهُ فَهُوَ(*) أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ[٣]

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ[٤] وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ

---

(١) لايتأثم أى لايخاف الاثم، ولا يتحرج لايخشى الوقوع فى الحرج وهو الجرم
(٢) تناول وأخذ عنه (٣) فهو أى من عصم الله أحد الأربعة وهو خبرهم الرابع
(٤) وهم: غلط وأخطأ

(*) فى نسخة : فهذا أحد الأربعة

يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ

وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهِمْ[1] ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَاسَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[2] ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ[3] .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ وَلَا مَاعَنَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ

---

(١) لم يهم أى لم يخطىء ولم يظن خلاف الواقع (٢) جنب أى تجنب (٣) أى عرف المتشابه من الكلام وهو مالا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم. ومحكم الكلام

وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ . وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا . وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ . فَهَذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَانَ مِنَ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا(١) . ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا(٢) فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ . وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ(٣) .

---

(١) زخر البحر ـ كمنع ـ وزخوراً ، وتزخر : طمى وامتلأ . والمتقاصف : المتزاحم كان أمواجه فى تزاحمها يقصف بعضها بعضاً أى يكسره . واليبس ـ بالتحريك ـ اليابس (٢) فطر منه أى من اليبس . والاطباق طبقات مختلفة فى تركيبها إلا أنها كانت رتقا يتصل بعضها ببعض ففتقها سبعاً وهى السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ماأودع فيه من السر الحافظ له فاستمسكت بأمر الله التكوينى ، وقامت على حده أى حده الامر الالهى ، وليس المراد من البحر هذا الذى نعرفه ولكن مادة الأجرام قبل تكاثفها فانها كانت مائرة ما ئجة أشبه بالبحر بل هى البحر الأعظم (٣) المراد من الأخضر الحامل للارض هو البحر .

قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ الْجَارِى مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا[١] وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا . فَأَرْسَاهَا فِى مَرَاسِيهَا . وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِى الْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِى الْمَاءِ . فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا[٢] ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِى مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا . فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[٣] ، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[٤] . وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا[٥] أَوْ

والمثعنجر - بفتح الجيم - معظم البحر وأكثر مواضعه ماء ، وبكسر الجيم هو السائل مطلقاً من ماء أو دمع . والقمقام - بفتح القاف وتضم - البحر أيضا ، وهو مسخر لقدرة الله تعالى . وحمله للأرض احاطته بها كأنها قارة فيه (١) جبل: خلق . والجلاميد الصخور الصلبة . والنشوز : جمع نشز - بسكون الشين وفتحها وفتح النون - ما ارتفع من الأرض . والمتون : جمع متن : ماصلب منها وارتفع . والأطواد عطف على المتون وهي عظام الناتئات. وقرارتها ما استقرت فيه كراسيها مارست أى رسخت فيه (٢) قوله فانهد الخ كأن النشوز والمتون والأطواد كانت فى بداية أمرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع عن السهول حتى إذا ارتجت الأرض بما أحدثت يد القدرة الالهية فى بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال وامتازت بقواعد سائخة أى غائصة فى المتون من أقطار الأرض . ومواضع الانصاب : جمع نصب - بضمتين - وهو ماجعل علماً يشهد فيقصد، فان الجبال إنما تشامخت من مرتفع الأرض وصلبها (٣) قلة الجبل أعلاه . وأشهقها جعلها شاهقة أى بعيدة الارتفاع (٤) أطال انشازها أى مد متونها المرتفعة فى جوانب الأرض. وأرزها - بالتشديد: ثبتها (٥) أى أن الأرض على حركتها المخصوصة بها سكنت عن أن تميد أى تضطرب بأهلها وتتزلزل بهم إلا ما يشاء الله فى بعض مواضعها لبعض الأسباب . وتسيخ - كتسوخ - أى تغوص

تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا . فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا[1] ، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي[2] ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي . تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ[3] . وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً[4] . وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ

---

(١) المهاد الفراش وما تهيئه لنوم الصبي (٢) لا يسيل في الهواء (٣) تكركره : تذهب به وتعود . وشبه اشتمال السحاب على خلاصة ماء البحر وهو بخاره بمخضها له كأنه لبن تخرج زبده . والذوارف : جمع ذارفة ، من ذرف الدمع إذا سال (٤) أكبر الشاهدين هو النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن

في الهواء فتنخسف . وزوالها عن مواضعها : تحولها عن مركزها المعين لها

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلهِ الْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ الْمَخْلُوقِينَ[١]، الْغَالِبِ لِمَقَالِ الْوَاصِفِينَ. الظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ، الْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ الْمُتَوَهِّمِينَ. الْعَالِمِ بِلَا اكْتِسَابٍ وَلَا ازْدِيَادٍ وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ، الْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ الْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ. الَّذِي لَا تَغْشَاهُ الظُّلَمُ وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ[٢] وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ. لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي الِاصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ الْمَفَاتِقَ[٣]، وَسَاوَرَ بِهِ الْمُغَالِبَ. وَذَلَّلَ بِهِ الصُّعُوبَةَ، وَسَهَّلَ بِهِ الْحُزُونَةَ حَتَّى سَرَّحَ الضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

---

(١) شبه ــ بالتحريك ــ أي مشابهة (٢) رهقه ــ كفرح ــ غشيه (٣) الرتق: سد الفتق، والمفاتق مواضع الفتق وهي ما كان بين الناس من فساد وفي مصالحهم من اختلال. وساور به المغالب أي واثب بالنبي صلى الله عليه وسلم كل من يغالب الحق، والحزونة غلظ في الأرض. والمراد سهل به خشونة الأخلاق الرديئة والعقائد الفاسدة بتهذيب الطباع وتنوير العقول حتى سرح به الضلال أي أبعده عن يمين السالكين نهج الاعتدال وشمالهم، وكأنه يريد جانبي الافراط والتفريط والابعاد تجنبهما. ولزوم العدل الوسط

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ(١) جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا . لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ(٢) وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ

أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا . وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَمًا(٣) وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ . فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ(٤) ، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ(٥) يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ(٦) . وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ . وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ(٧) . وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ . لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ(٨)

---

(١) نسخ الخلق نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة فى الأصول فرقا (٢) أى لم يكن لعاهر سهم فى أصوله . والعاهر من يأتى غير حله كالفاجر . وضرب فى الشىء صار له نصيب منه (٣) العصم ـ بكسر ففتح ـ : جمع عصمة وهى ما يعتصم به. وعصم الطاعات الاخلاص لله وحده (٤) الكفاء ـ بالفتح ـ : الكافى أو الكفاية (٥) المستحفظين بصيغه اسم المفعول الذين أودعوا العلم ليحفظوه (٦) الولاية : الموالاة والمصافاة (٧) الروية فعيلة بمعنى فاعلة أى يروى شرابها من ظما التباعد والنفرة . وريه ـ بكسر الراء وتشديد الياء ـ الواحدة من الرى: زوال العطش (٨) لا يخالطهم الريب والشك فى عقائدهم ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم عن الاغتياب

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ . عَلَى ذٰلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ[١] . فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ . فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى[٢] ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى . قَدْ مَيَّزَهُ ٱلتَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ ٱلتَّمْحِيصُ[٣] . فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا[٤] . وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا . وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا[٥] . فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[٦] . فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ ٱلسَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ[٧] وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ . وَبَادَرَ ٱلْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ . وَٱسْتَفْتَحَ ٱلتَّوْبَةَ وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ . فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ ٱلسَّبِيلِ

وعدم اصغائهم اليه (١) عقد خلقهم أى أنه وصل خلقهم الجسمانى وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها (٢) أى كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر فان البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان ويكون النوع صافياً لايخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى فى الأرض فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها (٣) التهذيب: التنقية. والتمحيص الاختبار (٤) الكرامة هنا النصيحة أى اقبلوا نصيحة لا أبتغى عليها أجراً إلا قبولها . والقارعة : داعية الموت أو القيامة تأتى بغتة (٥) حتى غاية للقصر والقلة فقصير الأيام ومابعده ينتهى باستبدال المنزل بمنزل آخر (٦) المتحول ـ بفتح الواو مشددة ـ مايتحول اليه . ومعارف المنتقل المواضع التى يعرف الانتقال اليها (٧) أى باستنارته بارشاد من أرشده وطاعة الهادى الذى أمره قبل أن تغلق أبواب الهدى

وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَثِيراً

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً[1]، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ ٱلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ ٱلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي

ٱللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَٱلْأَمْرُ لَكَ

ٱللَّهُمَّ ٱجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي

ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نَفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ. أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا[2] دُونَ ٱلْهُدَى ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ

---

(١) ميتاً حال من المجرور بالموت . والحوبة ـ بفتح الحاء ـ الأثم واماطتها تنحيتها وأصبح تامة (٢) التتابع : ركوب الأمر على خلاف الناس والاسراع إلى الشر واللجاجة يستعيذ من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِصِفِّينَ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ . فَٱلْحَقُّ أَوْسَعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي ٱلتَّوَاصُفِ[١] ، وَأَضْيَقُهَا فِي ٱلتَّنَاصُفِ . لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصًا لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ . وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ . ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ[٢] . وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي . فَرِيضَةً فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ . فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا

---

(١) يتسع القول فى وصفه حتى إذا وجب على الانسان الواصف له فر من أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها (٢) فحقوق العباد التى يكافىء بعضها بعضاً ولا يستحق أحد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة مايستحقه هى من حقوقه تعالى أيضا

بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ . فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا ، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ ، مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ[1] فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ، وَأَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ . وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ . وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ[2] وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ . فَعُمِلَ بِالْهَوَى . وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ . فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ[3] . وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ . فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ ٱللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ . وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ

---

(١) ذل الطريق ـ بكسر الذال ـ محجته وجرت أمور الله أذلالها وعلى أذلالها أى وجوهها . والسنن : جمع سنة . وطمع مبنى للمجهول (٢) الادغال فى الأمر : ادخال مايفسده فيه . ومحاج السنن : أوساط طرقها (٣) أى إذا عطل الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب لتعودها على تعطيل الحقوق وأفعال

أمْرُؤٌ وَإنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَاوِنَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللهُ مِنْ حَقِّهِ[1] ، وَلَا أمْرُؤٌ وَإنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ[2] بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ

(فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذٰلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ[3] . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ[4] وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ[5] ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ[6] . وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللهِ كَذٰلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ

الباطل (١) بفوق أن يعاون الخ أى بأعلى من أن يحتاج إلى الاعانة أى يستغنى عن المساعدة (٢) اقتحمته : احتقرته . بدون أن يعين أى بأعجز أن يساعد غيره (٣) كل فاعل يصغر ، أى يصغر عنده كل ماسوى الله لعظم ذلك الجلال الالهى (٤) وأحق المعظمين لله بتصغير ماسواه هو الذى عظمت نعمة الله عليه (٥) أصل السخف : رقة العقل وغيره أى ضعفه ، والمراد أدنى حالة للولاة أن يظن بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر ويبنون أمورهم على أساس الكبر (٦) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب

أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ[1]. فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللّٰهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا[2]، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ[3]، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ. وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ. وَلَا تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي. فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللّٰهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي[4]. فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

الاطراء أى المبالغة فى الثناء عليه فان حق الثناء لله وحده فهو رب العظمة والكبرياء (١) البلاء : اجهادالنفس فى احسان العمل (٢) لاخراجى متعلق بتثنوا . والتقية : الخوف والمراد لازمه وهو العقاب ومن متعلق باخراجى أى إذا أخرجت نفسى من عقاب الله فى حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على لذلك فانما وقيت نفسى وعملت لسعادتى على أنى ماأديت الواجب على فى ذلك، وما أجزل هذا القول وأجمعه (٣) ينهاهم عن مخاطبتهم له بألقاب العظمة كما يلقبون الجبابرة وعن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على الرأى صواباً أوخطأً كما يفعل مع أهل البادرة أى الغضب. وصانعه إذا أتى مايرضيه و إن كان غير راض عنه. والمصانعة المداراة (٤) يقول لا آمن

يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ[1] فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقًّا كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ[2] إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرِعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ[3] (وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ إِلَّا أَنِّي كَرَّرْتُهُ هٰهُنَا لِاخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ)

(وَمِنْهُ فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الخطأ فى أفعالى إلا إذا كان يسر الله لنفسى فعلا هو أشد ملكا له منى فقد كفانى الله ذلك الفعل فأكون على أمن من الخطأ فيه (١) أستعديك : أستعينك . واكفاء الاناء أى قلبه مجاز عن تضييعهم لحقه (٢) الرافد : المعين . والذاب : المدافع . وضننت أى بخلت . والقذى : مايقع فى العين . والشجى : ماعترض فى الحلق من عظم ونحوه يريد به غصة الحزن (٣) الشفار : جمع شفرة : حد السيف ونحوه

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ . وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا ، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ(١) فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا مَرَّ بِطَلْحَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَهُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً . أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ . أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ(٢) وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ(٣) فَوُقِصُوا دُونَهُ

---

(١) العض على السيوف مجاز عن ملازمة العمل بها (٢) الوتر : الثأر ، وطلحة كان من بني عبد مناف كالزبير وقاتله مروان بن الحكم وهما في عسكر واحد في حرب الجمل رماه بسهم على غرة انتقاما لعثمان رضي الله عنه . وأفلته الشيء خلص منه فجأة . وجمح قبيلة عربية كان من أعيانها أي عظمائها جماعة مع أم المؤمنين في واقعة الجمل ولم يصبهم ما أصاب غيرهم . ومن هذه القبيلة صفوان ابن أمية بن خلف واسمه عبد الله ، وعبد الرحمن بن صفوان (٣) أتلعوا أي رفعوا أعناقهم ومدوها لتناول أمر وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ(١) وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ تِلَاوَتِهِ «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»(٢)

يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ(٣)، وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ. لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ(٤)، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَفَبِمَصَارِعِ

فوقصوا أى كسرت أعناقهم دون الوصول اليه (١) حكاية عن صاحب التقوى. واحياء العقل بالعلم والفكر والنفوذ فى الاسرار الالهية. وإماتة النفس بكفها عن شهواتها. والجليل العظيم. ودق أى صغر حتى خفى أو كاد. وبروق اللامع من نور المقام الالهى يوضح طريق السعادة فلايزال السالك يتنقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام آخر من مقامات الكمال، وهذا هو التدافع من باب إلى باب حتى يصل إلى أعلى ما يمكن له وهناك سعادته ومقر نعيمه الأبدى (٢) ألهاه عن الشيء: صرفه عنه باللهو أى صرفكم عن الله اللهو بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا اسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر (٣) المرام الطلب بمعنى المطلوب. والزور بالفتح الزائرون وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم وتلك غفلة، فانما ينالون الشرف بما يكون من موجباته فى ذواتهم فما أبعد ما يرومون بغفلتهم (٤) استخلوهم أى وجدوهم خالين. والمدكر: الأذكار بمعنى

آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ؟ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ ؟ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ(١) ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ . وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ(٢). لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعَشْوَةِ(٣). وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ . وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ(٤) وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا ؛ وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا . تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ(٥) ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ(٦)

الاعتبار أى أخلوا أسلافهم من الاعتبار ثم قلب المعنى فى عبارة الامام فكان أخلوا الادكار من آبائهم مبالغة فى تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم ، وأى صفة لمحذوف تقديره مدكرا . وتناوشوهم تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها (١) خوت : سقط بناؤها وخلت من أرواحها (٢) أحجى : أقرب للحجى أى العقل فان موت الآباء دليل الفناء ، ومن عاقبته فناء كيف يفتخر؟ (٣) العشوة : ضعف البصر (٤) الخاوية: المنهدمة. والربوع : المساكن والضلال - كعشاق - جمع ضال (٥) جمع هامة أعلى الرأس . وتستثبتون أى تحاولون اثبات ماتثبتون من الأعمدة والأوتاد والجدران فى أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجها بالأرض التى تقيمون فيها ماتقيمون . ترتعون : تاكلون وتتلذذون بما لفظوه أى طرحوه وتركوه (٦) بواك : جمع باكية . ونوائح : جمع نائحة . و بكاء الأيام على السابقين واللاحقين حفظها لما يكون من مصابهم

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ[١] ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوقًا . سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا[٢] سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ . فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ . لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ . غُيَّبًا لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ . وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا ، وَآلَافًا فَافْتَرَقُوا[٣] . وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ[٤] ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا ،

---

(١) سلف الغاية: السابق اليها، وغايتهم حد ما ينتهون اليه وهو الموت. والفراط : جمع فارط ، وهو كالفرط ــ بالتحريك ــ متقدم القوم إلى الماء ليهيء لهم موضع الشرب. والمناهل مواضع ما تشرب الشار به من النهر مثلا. ومقاوم: جمع مقام. والحلبات : جمع حلبة ــ بالفتح ــ وهى الدفعة من الخيل فى الرهان أو هى الخيل تجتمع للنصرة من كل أوب . والسوق : بضم ففتح ــ جمع سوقة بالضم ــ بمعنى الرعية (٢) البرزخ : القبر . والفجوات : جمع فجوة ، وهى الفرجة والمراد منها شق القبر . ولا ينمون من النمو وهو الزيادة من الغذاء . والضمار ــ ككتاب ــ المال لا يرجى رجوعه وخلاف العيان . ولا يحفلون ــ بكسر الفاء ــ لا يبالون. والرواجف : جمع راجفة : الزلزلة توجب الاضطراب . والقواصف من قصف الرعد اشتدت هدهدته. وأذن له: استمع (٣) آلافا : جمع أليف ، أى مؤتلف مع غيره (٤) صمم يصم ــ بالفتح فيهما ــ خرس عن الكلام. وخرس الديار عدم صعود الصوت من سكانها

وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً . فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ ٱلصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ[١] . جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى ٱلتَّعَارُفِ[٢] وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ . فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ . وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ . لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً . أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً[٣] . شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا . فَكِلْتَا ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ[٤] فَاتَتْ مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا[٥] وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ

لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ[٦] ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ. فَقَالُوا كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ[٧]

---

(١) ارتجال الصفة وصف الحال بلا تأمل، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعوا من السبات بالضم أى النوم (٢) العرى : جمع عروة ، وهى مقبض الدلو والكوز مثلا، وبليت رثت وفنيت . والمراد زوال نسبة التعارف بينهم (٣) الجديدان : الليل والنهار فان ذهبوا فى نهار فلا يعرفون له ليلا أو فى ليل فلا يعرفون له نهارا (٤) الغايتان : الجنة والنار. والمباءة : مكان التبوء والاستقرار والمراد منها مايرجعون اليه فى الآخرة وقد مدت الغاية أى أخرت عنه فى الدنيا إلى مرجع يفوق فى سعادته أو شقائه كل غاية سما اليها الخوف والرجاء (٥) عيوا : عجزوا (٦) رجعت فيهم أبصار العبر نظرت اليهم بعد الموت نظرة ثانية . والعبر جمع عبرة (٧) كلح: كمنع ـ كلوحا ـ تكشر فى عبوس

وَخوَتِ الْأَجْسَادُ النَّوَاعِمُ . وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ الْبِلَى[١] . وَتَكَاءدَنَا ضِيقُ الْمَضْجَعِ . وَتَوَارَثْنَا الْوَحْشَةَ . وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا الرُّبُوعُ الصَّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ الْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا . وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعًا . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ الْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ارْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[٢] ، وَاكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ الْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ الْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا . وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[٣] ، وَسَهَّلَ طُرُقَ الْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ[٤] ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ . لَهُمْ فِي كُلِّ

---

(١) الأهدام : جمع هدم ـ بكسر الهاء ـ الثوب البالى أو المرقع . وتكاءد الأمر أى شق عليه . وتهكمت: تهدمت . والربوع: أماكن الاقامة. والصموت التى لا تنطق والمراد بها القبور (٢) ارتسخ مبالغة فى رسخ ، ورسخ الغدير : نش ماؤه أى أخذ فى النقصان ونضب ، أى نضب مستودع قوة السماع وذهبت مادته بامتصاص الهوام وهى الديدان هنا. واستكت الأذن صمت . وخسف عين فلان فقأها. وذلاقة الألسن حدتها فى النطق (٣) عاث :أفسد . والبلى : التحلل والفناء. وسمج الصورة تسميجا قبحها أى أفسد الفناء فى كل عضو منهم فقبحه (٤) لرأيت جواب لو مثلتهم . وأشجان القلوب : همومها. والأقذاء العيون والنواضر الحسنة البواسم. وخوت: تهدمت بنيتها وتفرقت أعضاؤها

فَظَاعَةِ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي[١]. وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ[٢] وَرَبِيبَ شَرَفٍ. يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ[٣]، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ. فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[٤] إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ[٥]. فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ[٦]. فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ[٧]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ

مايسقط فيها فيؤلمها (١) الغمرة: الشدة (٢) الأنيق: رائق الحسن. والغذى اسم بمعنى المفعول أى مغذى بالنعيم، والربيب بمعنى المربى، ربه يربه أى رباه (٣) يتشاغل بأسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه. والسلوة: انصراف النفس عن الألم بتخيل اللذة. ضنا أى بخلا. وغضارة العيش: طيبه (٤) وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئا يوجبها. والحسك: نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة أو أدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب تمثيل لمس الآلام (٥) الحتوف: المهلكات. وأصل الحتف الموت. من كثب ـ بالتحريك ـ أى قرب، أى توجهت اليه المهلكات على قرب منه. والبث: الحزن. والنجي: المناجي: وخالطه الحزن: مازج خواطره (٦) آنس حال من ضمير فيه. والفترات: جمع فترة: انحطاط القوة أى تولد فيه الضعف بسبب العلل حال كونه أشد أنسا بصحته من جميع الأوقات السابقة (٧) القار هنا البارد

لِتِلْكَ ٱلطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ[١] حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ[٢] ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ[٣] ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ ٱلسَّائِلِينَ عَنْهُ . وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ[٤]، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ،وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى ٱلْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ[٥] . فَبَيْنَا هُوَ كَذَٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا وَتَرْكِ ٱلْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[٦] ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ[٧]، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ . وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[٨]

---

(١) أى ماطلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع ليعدلها إلا وساعد كل طبيعة على تولد الداء (٢) معلل المريض من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء كما أن ممرضه من يتولى خدمته فى مرضه لمرضه (٣) تعايا أهله أى اشتركوا فى العجز عن وصف دائه. واختلف الحاضرون بين يدى المريض فى الخبر المحزن يكتمونه عنه (٤) هو لما به أى هو مملوك لعلته فهوهالك . والممنى مخيل الأمنية. والاياب الرجوع (٥) أسى جمع أسوة (٦) نوافذ الفطنة ما كان من أفكار نافذة أى مصيبة للحقيقة (٧) عى عجز لضعف القوة المحركة للسان (٨) تعتدل أى تستقيم عليها بالقبول والادراك، أى لغفلتهم عنها

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ»

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ[١] تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ[٢] عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ[٣]. يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ[٤]. مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ[٥] وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ. وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ

---

(١) الذكر: استحضار الصفات الالهية. والوقرة ثقل في السمع. والعشوة ضعف البصر (٢) الفترة بين العملين زمان بينهما يخلو منهما، والمراد أزمنة الخلو من الأنبياء مطلقاً. وناجاهم أي خاطبهم بالإلهام (٣) استصبح: أضاء مصباحه أي أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم الخ (٤) الفلوات: المفازات والقفار (٥) أخذ القصد أي ركب الاعتدال في سلوكه لاتناسب عند عقولهم فيدركوها

ٱلْغَافِلِينَ(١) . وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ . فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَكَأَنَّمَا ٱطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ ٱلْبَرْزَخِ فِي طُولِ ٱلْإِقَامَةِ فِيهِ(٢) ، وَحَقَّقَتِ ٱلْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا . فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى ٱلنَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ ٱلْمَحْمُودَةِ(٣) ، وَمَجَالِسِهِمُ ٱلْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ(٤) فَضَعُفُوا عَنِ ٱلْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً . يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَٱعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ

---

(١) هتف به ـ كضرب ـ صاح ودعا. وهتفت الحمامة صاتت (٢) فى طول الاقامة حال من أهل البرزخ. والعدات : جمع عدة ـ بكسر ففتح مخفف ـ أى كأنما القيامة كشفت لهم عن الوعود التى وعد بها الأخيار والأشرار (٣) مقاوم : جمع مقام ، مقاماتهم فى خطاب الوعظ . والدواوين : جمع ديوان ـ وهو مجتمع الصحف . والدفتر ما يكتب فيه أسماء الجيش وأهل الأعطيات (٤) أى نسبوا ماصدر عنهم إلى تقصير هممهم عن أداء الواجب عليهم ولم يحولوه على ربهم فجعلوا الأوزار حملا على ظهورهم فأحسوا بالضعف عن الاستقلال بها أى القيام بحملها. ونشج الباكى ينشج ـ كضرب يضرب ـ نشيجا غص بالبكاء فى حلقه . والنحيب أشد البكاء. وتجاوبوا به أجاب بعضهم بعضا يتناحبون . وعج يعج ـ كضرب ومل ـ صاح ورفع صوته فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ

أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى . قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ[1] . رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ . جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ[2] ، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ . لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ[3] وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ . فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ »

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً[4] ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً . لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا آنَسَكَ

(١) تنسم النسيم : تشممه . والروح ـ بالفتح ـ النسيم أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له
(٢) الأسى : الحزن (٣) المنادح : جمع مندوحة ، وهي كالندحة بالضم والفتح . والمنتدح ـ بفتح الدال ـ المتسع من الأرض (٤) أدحض خبر عن محذوف هو الانسان ودحضت الحجة ـ كمنع ـ

بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ(١) . أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ . أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ . فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ لِحَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ(٢)، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ(٣) فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ . وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ . وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ(٤) وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ . فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ(٥) . وَكُنْ لِلَّهِ مُطِيعاً ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا . وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ(٦) . يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ(٧) ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ

---

(١) بل مرضه يبل كقل يقل بلولا حسنت حاله بعد هزال (٢) ضحا ضحوا وضحوا : برز فى الشمس (٣) يمض جسده يبالغ فى نهكه (٤) أى خوف أن تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمعاصيه فى طرق سطواته وتعرضت لانتقامه (٥) الكرى ــ بالفتح والقصر ــ النوم (٦) تمثل تصور واذكر عند اعراضك عن الله إلى لهوك أنه مقبل عليك بنعمه ويتغمدك أى يغمرك (٧) الضمير فى تعالى لله

وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ(١) ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ؟ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِى الْأَعْمَالِ . وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ(٢) وَلٰكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ . وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ . وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ(٣) ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ(٤) وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ(٥) . وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا(٦) . وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ

---

(١) طرف عينه — كضرب — أطبق جفنيها والمراد من المطرف اللحظة يتحرك فيها الجفن فى نعمة يتعلق بلطفه (٢) إن الدنيا ماخبأت عن بصرك شيئا من تقلباتها المفزعة ولكن غفلت عما نرى ولقد كاشفتك وأظهرت لك العظات أى المواعظ، وآذنتك أعلمتك على عدل (٣) رب حادث من حوادثها يلقى اليك النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص (٤) تعرفتها طلبت معرفتها وعاقبة الركون اليها (٥) البخيل بك على الشقاء والهلكة (٦) وطنه — بالتشديد — اتخذه وطنا

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ(١) . وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ . وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ(٢) ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٍ ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٍ . فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ(٣) ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ . وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ(٤) . وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ . وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ . وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا(٥) ، وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ

---

(١) الراجفة النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفا. وحقت القيامة وقعت وثبتت بعظائمها. والمنسك ـ بفتح الميم والسين ـ العبادة أو مكانها (٢) يجز ـ من الجزاء ـ مبنى للمجهول ونائب فاعله خرق بصر وهمس قدم، أي لا تجازى لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة القدم في الأرض إلا بحق وذلك بعدل الله (٣) تحر من التحرى أى اطلب ما هو أحرى وأليق لأن يقوم به عذرك (٤) ما يبقى لك هو العمل الصالح تخذه من الدنيا التى لا تبقى لها . وتيسر : تأهب . وشام البرق : لمحه . ورحل المطية : وضع عليها رحلها للسفر (٥) كأنه يريد من الحسك الشوك . والسعدان نبت ترعاه الابل له شوك تشبه به حلمة الثدى . والمسهد ـ من سهده ـ إذا أسهره . والمصفد : المقيد

ٱلْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ . وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَى قُفُولُهَا[١] ، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَى حُلُولُهَا

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا[٢] ، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ غُبْرَ ٱلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّدًا[٣] وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّدًا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[٤] مُفَارِقًا طَرِيقِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا[٥] ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا . فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ ٱلثَّوَاكِلُ يَاعَقِيلُ[٦] ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ . أَتَئِنُّ مِنَ ٱلْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ

---

(١) يريد من النفس نفسه كرم الله وجهه أى كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع إلى الفناء رجوعها. والثرى التراب (٢) عقيل أخوه . وأملق: افتقر أشد الفقر. واستماحنى: استعطانى. والبر القمح (٣) شعث ـ جمع أشعث ـ وهو من الشعر المتلبد بالوسخ. والغبر ـ بضم الغين ـ: جمع أغبر متغير اللون شاحبه. والعظلم ـ كزبرج ـ سواد يصبغ به قيل هو النيلج أى النيلة (٤) القياد : مايقاد به كالزمام (٥) الدنف ـ بالتحريك ـ المرض. والميسم ـ بكسر الميم وفتح السين ـ المكواة (٦) ثكل ـ كفرح ـ أصاب ثكلا بالضم وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثوا كل النساء، دعاء عليه بالموت لتألمه من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملا وهو تناول شيء من بيت المال زيادة عن المفروض له يوجب الوقوع فى نار سجرها أى أضرمها الجبار وهو الله للانتقام ممن عصاه .

لَظَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا(١)، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذَلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ(٢) ، أَعَنْ دِينِ اللّٰهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ، أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ(٣) . وَاللّٰهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ(٤) مَا فَعَلْتُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا(٥) مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى . نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ(٦) وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

(وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ(٧) ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ

ولظى اسم جهنم (١) الملفوفة نوع من الحلواء أهداها اليه الأشعث بن قيس . وشنئتها أى كرهتها . والصلة العطية (٢) هبلتك ـ بكسر الباء ـ ثكلتك والهبول ـ بفتح الهاء ـ المرأة لا يعيش لها ولد . عن دين الله متعلق بتخدعنى (٣) أمختبط فى رأسك فاختل نظام ادراكك، أم أصابك جنون ، أم تهجر أى تهذو بما لا معنى له (٤) جلب الشعيرة ـ بكسر الجيم ـ قشرتها . وأصل الجلب غطاء الرحل فتجوز فى اطلاقه على غطاء الحبة (٥) قضمت الدابة الشعير ـ من باب علم ـ: كسرته بأطراف أسنانها (٦) سبات العقل نومه. والزلل: السقوط فى الخطأ (٧) صيانة الوجه حفظه من التعرض للسؤال. و بذل الجاه. إسقاط المنزلة من القلوب . واليسار : الغنى . والاقتار : الفقر . وقوله فأسترزق ترتيب على البذل

طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَابْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ . لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلَمُ نُزَّالُهَا(١) أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ . الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا(٢)

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ(٣) مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا . أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً(٤) ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ

بالاقتار فانه لو افتقر لطلب الرزق من طلاب رزق الله وهم الناس (١) النزال بالضم وتشديد الزاى جمع نازل (٢) الحمام ـ بالكسر ـ الموت (٣) أنتم وما تتمتعون بهقيام على سبيل الماضين تنتهون إلى نهايته وهو الفناء. و بعد الآثار طول بقائها بعد ذويها (٤) راكدة : ساكنة. وركود الريح كناية عن انقطاع العمل و بطلان الحركة. آثارهم عافية أي مندرسة

الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ[١] الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ[٢]، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا[٣]، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا. فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ. بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ[٤] لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ. وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى[٥]، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى. وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ[٦]، وَارْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ الْمَضْجَعُ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ. فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ[٧]، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ «هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ[٨]، وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»

---

(١) النمارق — جمع نمرقة —: تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة أى البساط ولعله المراد هنا. والممهدة المفروشة والصخور مفعول استبدلوا (٢) لطأ بالأرض — كمنع وفرح —: لصق. الملحدة من ألحد القبر جعل له لحدا أى شقا فى وسطه أو جانبه (٣) فناء الدار — بالكسر —: ساحتها وما اتسع أمامها. و بناء الفناء بالخراب تمثيل لما يتخيله الفكر فى ديار الموتى من الفناء الدائم إلى نهاية العالم (٤) متشاغلين عما شاهدوا من عقبى أعمالهم (٥) الكلكل هو صدر البعير كأن البلى بكسر الباء أى الفناء جمل برك عليهم فطحنهم. والجنادل: الحجارة. والثرى: التراب (٦) ولقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحبستم فى ذلك المضجع كما يحبس الرهن فى يد المرتهن (٧) تناهى به الأمر: وصل إلى غايته. والمراد انتهاء مدة البرزخ. و بعثرت القبور قلب ثراها وأخرج موتاها (٨) تبلوه أى تخبره فتقف على خيره وشره

(وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اَللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ(١) . وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ. تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ(٢) . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الِاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ

اَللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي(٣) أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذٰلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ(٤) وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ

اَللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ(٥) وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ

---

(١) آنس أشد أنساً ، فقلوب الأولياء أشد أنساً بالله من كل أليف فالله آنس الموجودات عندها وهو أشد النصراء حضوراً بما يكفي المعتمدين عليه (٢) الملهوف : المضطر يستغيث ويتحسر (٣) فهه - كفرح - عيي فلم يستطع البيان. والطلبة - بكسر الطاء - المطلوب . والمراشد : مواضع الرشد (٤) النكر - بالضم - : المنكر. والبدع - بالكسر - : الأمر يكون أولا ، أي الغريب غير المعهود (٥) اعتراف منه بالتقصير فلو عامله الله بالعدل لاشتد عليه الهول فالتجأ إلى العفو

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلّٰهِ بِلَاءُ فُلَانٍ[١] فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ. خَلَفَ الْفِتْنَةَ وَأَقَامَ السُّنَّةَ. ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ، قَلِيلَ الْعَيْبِ. أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدَّى إِلَى اللّٰهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ[٢] لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ[٣] تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ[٤] وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ

---

(١) هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقوم الأود عدل الاعوجاج. والعمد ـ بالتحريك ـ: العلة. وخلف الفتنة تركها خلفاً لا هو أدركها ولا هي أدركته (٢) عبارة عن الاختلاف (٣) التداكّ: الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أي يدقه. والهيم أي العطاش جمع هيماء، كعيناء وعين (٤) هدج: مشى مشية الضعيف، وهدج الظليم إذا مشى في ارتعاش والكعاب ـ كسحاب ـ: الجارية حين يبدو ثديها للنهود وهي الكاعبة. وحسرت

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ . وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[١] ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ . بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ . فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ[٢] ، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ . وَالْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ : وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُرًا نَاكِسًا ، وَمَرَضًا حَابِسًا أَوْ مَوْتًا خَالِسًا . فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[٣] . زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ . قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ . وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ

أى كشفت عن وجهها متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة والحرص على اتمام الأمر لأمير المؤمنين. والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأن الأمة بايعته مختارة (١) الملكة ـ بالتحريك ـ الرق أى عتق من رق الشهوات والأهواء . والهلكة ـ بالتحريك ـ :الهلاك (٢) والعمل الخ الواو واو الحال . وبادروا أى اسبقوا بأعمالكم حلول آجالكم التى تنكسكم أى تقلبكم من الحياة إلى الموت . والحابس المانع من العمل . والخالس : الخاطف (٣) طياتكم جمع طية ـ بالكسر ـ : القصد أى يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها والقرن ـ بالكسر ـ : الكفؤ فى الشجاعة. والتسمية تبكيت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات كأنه يقول إذا كنتم أقوياء فالموت كفؤ لكم غير مغلوب ، والواتر : الجانى والموت لايطالب بالقصاص على جنايته. أعلقتكم الحبائل أوقعتكم فيها فاقتنصتكم وهى جمع حبالة: المصيدة من الحبال. وتكنفتكم

وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ⁽¹⁾ ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ . فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ . وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ؛ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِرْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ . فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ⁽²⁾ ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ . فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا⁽³⁾ ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً⁽⁴⁾ ، وَأَمْوَالُهُمْ

أحاطتكم . أقصده: رماه بسهم فأصاب مقتله والمعابل ـ جمع معبلة كمكنسة بكسر الميم ـ وهى النصل الطويل العريض (١) العدوة ـ بالفتح ـ العدوان. والنبوة ـ بالفتح ـ أن يخطىء فى الضربة فلا يصيب. والدواجى ـ جمع داجية ـ أى مظلمة. والظلل ـ جمع الظلة ـ أى السحابة . والاحتدام : الاشتداد . والحنادس : جمع حندس ـ بكسر الحاء والدال ـ الظلمة الشديدة . والغمرات : الشدائد . والدجو : الاظلام . والجشوبة : الخشونة (٢) النجى القوم يتناجون . والندى : الجماعة يجتمعون للمشاورة. وعفى الآثار محاها . والتراث : الميراث . والحميم : الصديق (٣) الدرة ـ بالكسر ـ : اللبن . والغرة ـ بالكسر ـ: الغفلة أى أصابوا منها غفلة فتمتعوا بلذاتها وأفنوا العدد الكثير من أيامها وجعلوا جديدها خلقا قديماً بطول أعمارهم (٤) الأجداث : القبور

مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ[١]، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ، غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ[٢]. لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَّادِ) كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا. عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ[٣]. تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ[٤]، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَطَبَهَا بِذِي قَارٍ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْبَصْرَةِ
ذَكَرَهَا الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ[٥]، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ. وَرَتَقَ

---

(١) يحفلون: يبالون (٢) ما لبست إلا نزعت لباسها عمن ألبسته. ولا يركد أي لا يسكن (٣) بادر المحذور: سبقه فلم يصبه (٤) تقلباً بدانهم أي تتقلب، أي أن أبدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً (٥) الضمير في صدع للنبي صلى الله عليه وسلم. ولم الصدع لحم المنشق فأعاده إلى القيام بعد الاشراف على الانهدام. والفتق نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض. والرتق خياطتها

بِهِ ٱلْفَتْقَ . وَأَلَّفَ بِهِ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي ٱلصُّدُورِ، وَٱلضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ زَمْعَةَ وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ وَذٰلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ(١) وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَلَا إِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ(٢) فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ. وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ

ليعودتو باً . أى جمع الله بهمتفرق القلوب ومتشتت الأحوال . والواغرة: الداخلة. والقادحة المشتعلة (١) الفيء الخراج والغنيمة. وشركه -كعلمه-: شاركه. والجناة -بفتح الجيم-: ما يجنى من الشجر أى يقطف (٢) أى أن اللسان آلة تحركها سلطة النفس فلا يسعد بالنطق ناطق امتنع عليه ذهنه من المعانى فلم يستحضرها ولا يمهله النطق إذا هو اتسع فى فكره بل تنحدر المعانى إلى الألفاظ جارية على اللسان قهراً منه، فسعة الكلام تابعة لسعة العلم وتنشبت الأصول علقت ونبتت. والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية.

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ(١)، وَٱللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ. مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ(٢)، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ. لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(رَوَى ٱلْيَمَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ ٱللهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ ٱخْتِلَافُ ٱلنَّاسِ فَقَالَ):

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ(٣) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا. فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ ٱخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ. فَتَامُّ ٱلرُّوَاءِ(٤) نَاقِصُ ٱلْعَقْلِ، وَمَادُّ ٱلْقَامَةِ قَصِيرُ ٱلْهِمَّةِ، وَزَاكِي ٱلْعَمَلِ قَبِيحُ ٱلْمَنْظَرِ،

والغصون: وجوه القول فى فصاحته وصفاته الفاعلة فى النفوس. وتهدلت أى تدلت علينا فأظلتنا (١) كل لسانه نبا عن الغرض، وإذا مرنت الأسماع على سماع الكذب نباعنها لسان الصدق فلم يصب منها حظا (٢) شرس: سيء الخلق. والمماذق من يمزج وده بالغش وهو من صنف المنافقين (٣) جمع طينة يريد عناصر تركيبهم. والفلقة ـ بكسر الفاء ـ: القطعة من الشيء. وسبخ الأرض: مالحها. والحزن ـ بفتح الحاء ـ: الخشن ضد السهل فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم وكذلك تباعدهم بتباعدها (٤) الرواء ـ بالضم والمد ـ: حسن المنظر. وماد القامة طويلها. والقعر يريد به قعر البدن أى أنه قصير

وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْحَلِيبَةِ، وَتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ وَهُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَجْهِيزَهُ

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ. خَصَّصْتَ[1] حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً. وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ[2]، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا وَقَلَّالَكَ[3]، وَلَكِنَّهُ مَالَا يُمْلَكُ رَدُّهُ[4] وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ. بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ

الجسم لكنه داهي الفؤاد. والضريبة الطبيعة. والحليبة ما يتصنعه الانسان على خلاف طبعه (١) النبي صلى الله عليه وسلم خص أقاربه وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه. وهو برسالته عام للخلق فالناس فى النسبة إلى دينه سواء (٢) لأنفدنا أي لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجارى من شؤونه وهي منابع الدمع من الرأس (٣) مماطلا بالشفاء. والكمد: الحزن. ومحالفته ملازمته. وقلّا فعل ماض متصل بألف التثنية، أى مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك (٤) ماخبر لكن أى لكنه الموت الذى لايملك رده الخ. وماحتم وقوعه فلايفيد الأسف عليه لأن الأسف وضع فى النفوس

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

اُقْتُصَّ فِيهِ ذِكْرُ مَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ

ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لَحَاقِهِ بِهِ

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعَرَجِ[1] (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: فَأَطَأُ ذِكْرَهُ. مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى غَايَتَيِ ٱلْإِيجَازِ وَٱلْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى خَبَرَهُ[2] صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنِ ٱنْتَهَيْتُ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ فَكَنَّى عَنْ ذٰلِكَ بِهٰذِهِ ٱلْكِنَايَةِ ٱلْعَجِيبَةِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَٱعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ ٱلْبَقَاءِ[3] وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ. وَٱلْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَٱلْمُسِيءُ يُرْجَى. قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ[4]

لمداركة الفائت والحذر من الآتى (١) العرج ــ بالتحريك ــ موضع بين مكة والمدينة (٢) أعطى بالبناء للمجهول (٣) نفس ــ بالتحريك ــ أى سعة البقاء. وصحف الأعمال منشورة لكتابة الصالحات والسيئات. وبسط التوبة: قبولها. والمدبر أى المعرض عن الطاعة يدعى اليها. والمسيء يرجى احسانه ورجوعه عن اساءته. وخمود العمل: انقطاعه بحلول الموت (٤) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ(١) . وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . امْرُؤٌ خَافَ اللهَ(٢) وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا(٣) ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ(٤) ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ . جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ(٥) ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّى

---

(١) أخذ أمر بصيغة الماضي أى فليأخذ ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله فاعملوا ، أى لو عملتم لأخذ امرؤ ، وأخذه من نفسه تعاطى الأعمال الجليلة لنفسه أى لتسعد بها نفسه. والحي والميت هو المرء نفسه ولكنه فى حياته قادر على العمل فاذا مات فليس له إلا ما أخذه من حياته . ومن فان أى حياة فانية وهى الدنيا لباق وهو الآخرة، وهكذا الذاهب والدائم (٢) امرؤ خاف الخ أى الناجى هو امرؤ خاف الله فأدى الواجب عليه له وللناس وهو فى مهلة الحياة تمتد به إلى أجله. ومنظور أى ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره و يثيبه على عمله (٣) زمها أى قادها بقيادها (٤) الجفاة ـ بضم الجيم ـ: جمع جاف، أى غليظ فظ . والطغام ـ كسحاب ـ: أوغاد الناس. والعبيد كناية عن رديئى الأخلاق. والأقزام : جمع قزم ـ بالتحريك ـ أرذال الناس جمعوا من كل أوب أى ناحية. والشوب الخلط كناية عن كونهم أخلاطا ليسوا من صراحة النسب فى شىء (٥) ممن ينبغى أى أنهم على جهل فينبغى أن يفقهوا و يؤدبوا و يعلموا فرائضهم و يمرنوا على العمل بها، وهم سفهاء الأحلام فينبغى أن يولى عليهم أى يقام

عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ

أَلَا وَإِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ(١) ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقًا(٢) فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِعَبْدِ اللهِ ابْنِ الْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ الْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ الْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى

لهم الأولياء ليلزموهم بمصالحهم ويعملوا لهم ويأخذوا على أيديهم فلا يبيحون لهم التصرف من أنفسهم والاجرتهم إلى الضرر بالجهل والسفه . تبوأوا الدار أى نزلوا المدينة المنورة، كناية عن الأنصار الأولين (١) أقرب القوم يريد به أباموسى الأشعرى وهو عبد الله ابن قيس، وهو لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخديعة فيكون أقرب إلى موافقة الأعداء على أغراضهم وهو مايكرهه ، أصحاب أمير المؤمنين خصوصا وقد عهدوه بالأمس -أى عند اعداد الجيش للحرب- يقول: ان الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسى وشيموا أى أغمدوا السيوف ولا تقاتلوا . يثبط بذلك أصحاب على عن الحرب (٢) ان صح قول أبى موسى انها فتنة ولم يكرهه أحد على الدخول فيها فقد أخطأ بمسيره اليها وكان عمله خلاف عقيدته، ومن كان شأنه ذلك فلا يصلح للحكم ، وإن كان كاذباً فيما يقول فقد كان عارفا بالحق ونطق بالباطل فهو منهم ويخشى أن يكون منه مثل ذلك فى الحكم. وقوله فادفعوا الخ أى اختاروا ابن عباس حكما فانه كفؤ لعمرو بن العاص. وخذوا مهل الأيام فى فسحتها فاستعدوا فيها بجمع قواكم وتوفير عددكم وتجنيد جيوشكم. وحوطوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يَذْكُرُ فِيهَا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ. وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ. لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ ٱلِاعْتِصَامِ[١] بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[٢]، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ[٣]، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَالَهُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ

قواصى الاسلام أى احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها، واجعلوا كل قاصية لكم لا عليكم. وقواصى الاسلام أطرافه. ورمى الصفاة ــ بفتح الصاد ــ كناية عن طمع العدو فيما باليد. وأصل الصفاة الحجر الصلد يراد منها القوة وما يحميه الانسان (١) ولائج: جمع وليجة، وهى ما يدخل فيه السائر اعتصاما من مطر أو برد أو توقياً من مفترس (٢) نصاب الحق: أصله، والأصل فى معنى النصاب مقبض السكين، فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه و يعود إليه. وانزاح زال. وانقطاع لسان الباطل عن منبته ــ بكسر الباء ــ أى عن أصله مجاز عن بطلان حجته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه (٣) عقل الوعاية حفظ فى فهم. والرعاية ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين حقيقة. أما السماع

يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ بِيَنْبُعَ لِيَقِلَّ هَتْفُ النَّاسِ بِاسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ(١) بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ(٢) أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ. وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحُثُّ فِيهِ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ)

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ(٣) وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ(٤)

والرواية مجردين عن الفهم والرعاية فنزلتهما لاتخالف منزلة الجهل إلا فى الاسم (١) كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة أى ينادون به وعثمان رضى الله عنه محصور، فأرسل اليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية (٢) نضح الجمل الماء حمله من بئر أو نهر ليسقى به الزرع فهو ناضح. والغرب ـ بفتح فسكون: ـ الدلو العظيمة، والكلام تمثيل للتسخير (٣) مستأديكم: طالب منكم أداء شكره. وأمره: سلطانه فى الأرض يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهيه (٤) ممهلكم أى معطيكم مهلة فى مضمار الحياة المحدود بالأجل. وأصل المضمار المكان تضمر فيه الخيل أى تحضر للسباق لتتنازعوا أى تتنافسوا فى سبقه. والسبق ـ بالتحريك ـ: الخطر يوضع بين المتسابقين

لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ . فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ [١] ، وَاطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ [٢] . مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ [٣] ، وَأَمْحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً

يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة (١) العقد : جمع عقدة . والمآزر : جمع مئزر . وشد عقد المآزر كناية عن الجد والتشمير فان من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضى فى عمله غير خائف. واطووا فضول الخواصر أى مافضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفوا فى العمل ولا يعوقكم شىء عن الاسراع فى عملكم (٢) أى لا يجتمع طلب المعالى مع الركون إلى اللذائذ (٣) ماتعجبية أى ماأشد النوم نقضاً لعزيمة النهار بعزم السائر على قطع جزء من الليل فى السير ، فاذا جاء الليل غلبه النوم فنقض عزيمته. والظلم : جمع ظلمة ، متى دخلت محت تذكار الهمة التى كانت فى النهار . والله أعلم .



فهرست الجزء الثاني من نهج البلاغة

تم الجزء الثاني من نهج البلاغة